حوارٌ حول الإمام المهدي

عجل الله تعالى فرجه الشريف

ضياء السيد عدنان الخباز

ضراعةٌ وابتهال

اللهم صلِّ على محمدٍ وآل محمد

اَللّٰهُـمَّ هـذا دينُـكَ أصْبَـحَ باكيـاً لفَقْـد وَليِّـكَ ، فَصَـلِّ عَلـى مُحَمَّـدٍ وآلِ مُحَمَّـد وَعَجِّـلْ فَـرَجَ وَليِّـكَ رَحْمَـةً لِدينِـكَ .

اَللّٰهُـمَّ وهـذا كتابـك أصْبَـحَ باكيـاً لفَقْـد وَليِّـكَ ، فَصَـلِّ عَلـى مُحَمَّـدٍ وآلِ مُحَمَّـد وَعَجِّـلْ فَـرَجَ وَليِّـكَ رَحْمَـةً لِكتابِـكَ .

اَللّٰهُمَّ وَهذه أعْيُنُ المُؤمنينَ أصْبَحَتْ باكيَةً لفَقْد وَليِّكَ ، فَصَلِّ عَلـى مُحَمَّـدٍ وآلِ مُحَمَّـد وَعَجِّـلْ فَـرَجَ وَليِّـكَ رَحْمَـةً لِلْمُؤمِنـينَ .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد

مُقَدِّمَة

والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين أبد الآبدين .

أما بعد : فبين يدي القارئ العزيز إجابات سماحة العلّامة السيد ضياء الخبّاز (حفظه الله) عن مجموعة من الأسئلة المهدوية التي وجّهتها إليه مجلّة (رسالة القلم) المعطاءة ، وقد نُشرت ضمن العدد المزدوج ٧١ - ٧٢ بتاريخ رجب - شوال سنة ١٤٤٣ هـ .

وتعميماً للفائدة فقد آثرنا نشرها بشكل مستقل ، راجين أن تحظى بنظرة لطف ورضا من عين وليّ الله الأعظم ، إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وسائلين الله تعالى أن يتقبلها بأحسن القبول ، وأن يحفظ سماحة السيد الضياء ويزيد في توفيقاته ولا يحرمنا من بركاته ، والحمد لله ربِّ العالمين .

شبكة الضياء

تقرأ في هذا الكتاب أجوبة الأسئلة التالية:

س١: هل كانت القضية المهدوية واضحة عند المسلمين في عصر النبي صلى الله عليه وآله؟ ص٤

س٢: كيف تعاملت السلطة الأموية والعباسية مع القضية المهدوية؟ ص٨

س٣: كيف تعامل الأئمة عليهم السلام مع دعاوى المهدوية في زمانهم؟ ص١١

س٤: كيف استطاع الأئمة عليهم السلام إقناع شيعتهم بإمامة الإمام المهدي عليه السلام رغم صغره وغيبته؟ ص١٢

س ٥ : لماذا ينحصر الاهتمام بالقضية المهدوية بالشيعة الإمامية رغم أنها قضية إسلامية عامة ؟.....ص١٦

س٦: هل يوجد من علماء السنة من يعتقد بولادة الإمام المهدي عليه السلام ؟ ص٢٤

س٧: كيف نوفق بين تواتر أخبار رؤية الإمام عليه السلام في غيبته وبين التوقيع المكذّب لمدّعي الرؤية؟ ص٢٥

س ٨ : كيف يستطيع أدعياء المهدوية إقناع الناس بدعاواهم الباطلة ؟ وكيف نحصّن أنفسنا من التأثر بها ؟.....ص٣٠

س٩: ما هي أغراض أدعياء المهدوية من طرح دعاواهم الباطلة؟ ص٣٩

س١٠: ما هي أهم المصادر التي يمكن الرجوع إليها في مسألة تزييف دعاوى المهدوية؟.....ص٤١

س١١: ما هي أهم وظائف المؤمنين فيما يرتبط بالقضية المهدوية؟ ص٤٢

س١٢: كيف نضمن أن نكون من أنصار الإمام عليه السلام وألا نكون ممن يرتد عنه؟ ص٤٤

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد

• سماحة السَّيد العزيز.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. نشكركم على استجابة هذه الدعوة في إجراء هذا الحوار معكم.

• وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً ومرحباً بكم ، وأرجو أن أكون عند حسن ظنّكم إن شاء الله تعالى .

س ١ : نبدأ بهذا السُّؤال حول القضية المهدويَّة : هل كانت هذه القضية واضحة عند المسلمين في عصر النَّبي صلى الله عليه وآله ، باعتبار أنَّه صلى الله عليه وآله قد تحدَّث عنها في عدَّة روايات، وأنَّها من الأمور الغيبية الحتمية؟

ج ١ : باسمه تعالى أبدأ ، وبمدد وليّه عجل الله تعالى فرجه الشريف أستعين .

بما أنَّ السؤال يتكون من شقّين ، لذا ستكون الإجابة موزّعة عليهما :

أ - أما بالنسبة للشقّ الأوّل - وهو وضوح القضية المهدوية - فمحصَّل الجواب عنه : إنَّ القضية المهدوية في عصر النبي المصطفى صلى الله عليه وآله كانت من القضايا الواضحة جداً ، وهذا يُستكشف من عدّة منبّهات :

١ - المنبّه الأوّل : كثرة الأحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وآله ، حتى عُدّت عندنا وعند غيرنا من الأحاديث المتواترة ، وقد صرَّحَ بذلك غير واحد ، منهم : الشيخ محمد الزرنجي في كتابه : (الإشاعة لأشراط

الساعة) حيث قال : (قد علمت أنَّ أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان ، وأنه من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة ، بلغت حدَّ التواتر المعنوي ، فلا معنى لإنكارها)[1] .

ومنهم : الشيخ محمد السفاريني في كتابه (لوامع الأنوار البهية) حيث قال : (وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حدّ التواتر المعنوي ، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُدّ من معتقداتهم)[2] .

٢ - المنبّه الثاني : اهتمام الكثير من الصحابة والتابعين بالقضية المهدوية ، وقد تحدَّث عن ذلك الشيخ السفاريني المذكور آنفاً ، فقال : (وَقَدْ رُوِيَ عَمَّنْ ذَكَرَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِ مَنْ ذَكَرَ مِنْهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِرِوَايَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَعَنِ التَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، مَا يُفِيدُ مَجْمُوعُهُ الْعِلْمَ الْقَطْعِيَّ ، فَالإِيمَانُ بِخُرُوجِ الْمَهْدِيِّ وَاجِبٌ ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَمُدَوَّنٌ فِي عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَكَذَا عِنْدَ أَهْلِ الشِّيعَةِ أَيْضاً)[3] .

كما أنَّ أحد الباحثين حول القضية المهدوية من علماء الجمهور قد أحصى عدد الصحابة الذين حدّثوا بأحاديث الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فأنهاهم إلى ستة وعشرين صحابياً[4]، على أنه لم يستوفهم، فإنه لم يذكر في الأسماء الإمام الحسن عليه السلام ، وسلمان المحمدي، وأبا أيوب الأنصاري ، وأبا سلمى راعي إبل النبي صلى الله عليه وآله ، وأبا أمامة الباهلي ، وأبا جابر الصدفي ، وتميم الداري ، وغيرهم ، ولعلّ عذره أنه قد اعتمد على بعض المصادر ، وأهمل غيرها أو لم يطلّع عليها .

والمُحقَّق عندنا - مع تعميم الفحص لمصادر المسلمين كافّة - أنَّ عدد الصحابة الذين حدّثوا بأحاديث الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يقارب الستين صحابيّاً ، وهو عدد كبير جداً ، ويعكس مستوى تداول

---

(١) الإشاعة لأشراط الساعة : ٢١٥ .
(٢) لوامع الأنوار البهيّة : ٢ / ٨٤ .
(٣) لوامع الأنوار البهيّة : ٢ / ٨٤ .
(٤) عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر : ١٢٨ ..

القضية المهدوية في العصر النبوي .

٣ - المنبِّـه الثالـث : طبيعـة أسـئلة الـرواة للنبـي صلى الله عليه وآله حـول القضيـة المهدويـة، فإنهـا كاشـفة عـن وضـوح أصـل القضيـة عندهـم، ولـذا كانـت أسـئلتهم تـدور حـول خصوصياتهـا وجزئياتهـا ، ويشـهد لذلـك سـؤال جابـر بـن عبـد الله الأنصاري رضي الله عنه للنبـي صلى الله عليه وآله : (يـا رسـول الله ، وللقائـم مـن ولـدك غيبـة ؟) [١] ، وسـؤاله الآخـر : (فهـل يقـع لشـيعته الانتفـاع بـه في غيبتـه ؟) [٢] ، وسـؤال سـلمان المحمـدي رضي الله عنه : (مـن أيّ ولـدك هـو ؟) [٣] ، وسـؤال أبـي هريـرة : (وكـم يملـك ؟) [٤] ، فـإنَّ هـذه الأسـئلة وأمثالهـا شـاهدة بـأنَّ أصـل القضيـة كان واضحاً علـى مسـتوى الـرواة والصحابـة ، وهـذا مـا أوجـب أن تتمركـز أسـئلتهم حـول التفاصيـل .

ب - وأمـا بالنسـبة للشـقّ الثانـي - وهـو حتميـة القضيّـة - فمحصّـل الجـواب عنـه : إنَّ مـن المفتـرض أن تكـون مسـألة الحتميـة هـي الأخرى من الواضحـات علـى المسـتوى العـام لـدى الجيـل الأوّل مـن أجيـال الإسـلام ، وسـرُّ ذلـك هـو تعـدد الأسـاليب البيانيـة التـي اسـتخدمها النبـي صلى الله عليه وآله في سـبيل إيصـال الفكـرة ، ولا بـأس بعـرض بعـض النمـاذج منهـا :

١ . النمـوذج الأوّل : قولـه صلى الله عليه وآله : (لـو لـم يبـقَ مـن الدنيـا إلا يـوم لطـوّل الله ذلـك اليـوم ، حتـى يلـي رجـل مـن أهـل بيتـي ، يواطـي اسـمه اسـمي) [٥] .

٢ . النمـوذج الثانـي : قولـه صلى الله عليه وآله : (لـو لـم تبـقَ مـن الدنيـا إلا ليلـة لطـوّل الله تلـك الليلـة ، حتـى يملـك رجـل مـن أهـل بيتـي) [٦] .

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٢٨٨

(٢) كمال الدين وتمام النعمة : ٢٥٣ .

(٣) بحار الأنوار : ٥١ / ٨٠ .

(٤) مجمع الزوائد : ٧ / ٣١٥ .

(٥) مجمع البيان : ٧ / ٢٦٧ .

(٦) بحار الأنوار : ٥١ / ٨٤ .

٣ . النموذج الثالث : قوله صلى الله عليه وآله : (لا تقوم الساعة حتى تُملأ الأرض ظلماً وعدواناً ، ثمّ يخرج رجل من عترتي - أو من أهل بيتي - رجل يملؤها قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وعدواناً)[١] .

٤ . النموذج الرابع : قوله صلى الله عليه وآله : (لن تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)[٢] .

٥ . النموذج الخامس : قوله صلى الله عليه وآله : (لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي ، يواطي اسمه اسمي)[٣] .

٦ . النموذج السادس : قوله صلى الله عليه وآله : (من أنكر خروج المهدي فقد كفر بما أنزل على محمد)[٤] .

وكلُّ هذه الأساليب صريحةٌ جداً في حتمية القضية ، ونظراً لتعددها وتنوّعها فقد ارتكز في أذهان الصحابة أنَّ القضيّة المهدوية من القضايا الحتمية ، كما أفصحت عن ذلك كلماتهم ، ومنها : ما ورد عن سلمان المحمدي رضي الله عنه أنَّه قال : (لا بدَّ من قائم من ولد فاطمة يقوم من المغرب ، فيكسر شوكة المبتدعين ، ويقتل الظالمين)[٥] .

وما وردَ عن ابن عباس : قال (إني لأرجو أن لا تذهب الأيام والليالي حتى يبعث الله منّا غلاماً شاباً ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لم يلبس الفتن ولم تلبسه الفتن ، وإني لأرجو أن يختم الله بنا هذا الأمر كما فتحه بنا)[٦] .

وما وردَ عن عبد الله بن عمر ، قال : (يخرج من ولد الحسين عليه السلام من قبل المشرق ، ولو استقبلته الجبال لهدّمها ، واتخذ فيها طرقاً)[٧] .

---

(١) دلائل الإمامة : ٤٦٧ .
(٢) عقد الدرر في أخبار المنتظر : ٩٣ .
(٣) مسند أحمد : ٣ / ٤٩٣ .
(٤) ينابيع المودة : ٣ / ٢٩٥ .
(٥) شرح الأخبار : ٣ / ٣٩٥ .
(٦) كنز العمال : ١٤ / ٥٨٥ .
(٧) الفتن لابن حمّاد : ١ / ٢٢٩ .

س ٢ : كيف تعامل الخلفاءُ الأمويون والعباسيون مع هذه القضية، باعتبار أنّها كانت تمثل تهديداً لسلطانهم؟

ج ٢ : الذي يظهر للمتتبع - من خلال سبر الروايات والأحداث التاريخية - أنّ الحكّام والسلاطين قد تعاملوا مع القضية المهدوية بثلاثة أساليب :

أ - الأسلوب الأوّل : التحريف ، وذلك من خلال تجريد الإمام المهدي عليه السلام عن خصوصياته الشخصية ، وزعم أنه والنبي عيسى بن مريم عليهما السلام شخصية واحدة ، وتشهد لذلك محاورة عبد الله بن عباس لمعاوية بن أبي سفيان ، إذ قال معاوية لابن عباس : « وقد زعتم أنّ لكم ملكاً هاشمياً ومهدياً قائماً ، والمهدي عيسى بن مريم ، وهذا الأمر في أيدينا حتى نسلمه إليه ، ولعمري لئن ملكتم ما ريح عاد ولا صاعقة ثمود بأهلك للناس منكم».

فأجابه ابن عباس بقوله : « اسمع يا معاوية ، أمّا قولك إنّا زعمنا أنّ لنا ملكاً مهدياً فالزعم في كتاب الله شك ، والكل يشهد أنّ لنا ملكاً لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد ملّكه الله فيه، وأنّ لنا مهدياً لو لم يبق إلاّ يوم واحد بعثه لأمره ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .. وأمّا قولك أنّ المهدي عيسى بن مريم، فإنّما ينزل عيسى على الدجال ، فإذا رآه ذاب كما تذوب الشحمة»[1] .

والملفت في ظلّ هذه المرحلة : أنّه قد تمّ اختلاق بعض الأحاديث ونسبتها إلى النبي صلى الله عليه وآله لتثبيت هذه الفكرة ، وتذويب القضية المهدوية، ومن تلك الأحاديث: الحديث المنقول عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : (لا يزداد الأمر إلاّ شدّة ، ولا الدنيا إلاّ إدباراً ، ولا الناس إلاّ شحّاً ، ولا تقوم الساعة إلاّ على شرار الناس ، ولا مهديّ إلاّ عيسى بن مريم)[2] ، وجديرٌ بالذكر أنّ أحد رواة هذا الحديث هو محمّد

(١) الملاحم والفتن : ٢٣٩ .
(٢) المستدرك على الصحيحين : ٤ / ٤٤١ .

بـن خالـد الجنـديّ ، وهـو مـن الوضّاعـين المعروفين[1] .

ب - الأسـلوب الثانـي : التوظيـف ، وأعنـي بـه التوظيـف السياسـي واسـتغلال القضيـة المهدويـة مـن أجـل تحقيـق مآرب سياسـية ومصالـح نفعيـة ، وهـذا مـا تحقـق في فتـرات زمنيـة متعـددة ، ومـن أبرزهـا مـا حصل في ظلّ خلافة المنصور الدوانيقي ، حيث عمد إلى تلقيب ولده محمد بـ (المهدي) ، في قبال ما ذاع حينها من إطلاق هذا اللقب على محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بـ (النفس الزكيّة) ، الأمر الذي أوجب إقبالاً كبيراً على بيعته ، وهذا ما أوجب إرباكاً للسلطة آنذاك، فحاولت أن تقلب الطاولة عليه باستخدام نفس الأسلوب، فحين بلغ المنصور ما نُقل عن محمد النفس الزكية من قوله لأصحابه : (إنكم لا تشكون أني أنا المهدي، وأنا هو) عقّبَ على ذلك بقوله : (كذب عدو الله ؛ بل هو ابني) ، ولم يكتف بذلك حتى أصدرَ قائلاً : (هذا محمد ابني ، وهو المهدي ، وهو ولَي عهدي)[2] ، وليس ذلك فحسب، بل اختلقوا مجموعة من الأحاديث التي تصبُّ في هذا السياق ، ومنها الحديث الذي نسبوه للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهو: « منّا السفّاح ، ومنّا المنصور ، ومنّا المهدي »[3] .

والهدف من كلِّ ذلك هو توطيد الحكم ، وإسباغُ الشرعيّة على السلطة ، من خلال بعث الأمل في نفوس الناس ، وإيهامهم بأنَّ الدولة العباسية هي الدولة المثلى التي ينشدونها ويحلمون بها ، والتي وعد النبي صلى الله عليه وآله بتحققها في آخر الزمان على يد (المهدي عليه السلام) .

وهكذا كانت القضية تتكرّر عبر التاريخ كلما اقتربت إحدى الدول الحاكمة من السقوط ، فإنها كانت تتشبث بكل ما يساعد على بقائها واستمرارها ، ومن أهم القضايا المساعدة على تحقيق هذا الغرض هي القضيّة المهدوية ، ولذا تكرَّر ادعاؤها عبر التاريخ .

---

(١) قال الذهبي عنه في (تاريخ الإسلام) ٤ / ١٩٣ : (قال أبو الفتح الأزدي : منكر الحديث . وقال الحاكم : مجهول . قلت : هو صاحب ذاك الحديث المنكر: «لا مهديّ إلا عيسى ابن مريم »).

(٢) مقاتل الطالبيين : ٢٤٠ .

(٣) كنز العمال : ١٣ / ٥١٣ .

ج - الأسلوب الثالث : المواجهة ، وهذا ما حدث قبيل وبعد ولادة الإمام المهدي عليه السلام ، فقد استنفرت السلطات كافّة أجهزتها، واستنفدت منتهى جهدها وطاقتها في سبيل العثور على الإمام الغائب ، والقضاء عليه منذ بداية أمره .

ويشهد لذلك ما أورده الشيخ الكليني قدس سره في توصيف أحداث شهادة الإمام العسكري عليه السلام ، نقلاً عن الحسين بن محمد الأشعري ومحمد بن يحيى وغيرهما، نقلاً عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان قال : (حتى توفي عليه السلام فصارت سر من رأى ضجة واحدة ، وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها ، وختم على جميع ما فيها ، وطلبوا أثر ولده ، وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن ، فذكر بعضهن أنَّ هناك جارية بها حمل ، فجعلت في حجرة ، ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم)[1] .

وتحدث الشيخ المفيد قدس سره عن نفس الأحداث ، فقال : (وخلَّفَ ابنه المنتظر عليه السلام لدولة الحق ، وكان قد أخفى مولده وسترَ أمره لصعوبة الوقت ، وشدّة طلب السلطان له ، واجتهاده في البحث عن أمره ، ولما شاع من مذهب الشيعة الإمامية فيه، وعرف من انتظارهم له ، فلم يظهر ولده عليه السلام في حياته ، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته ، وتولى جعفر بن علي أخو أبي محمد عليه السلام أخذ تركته ، وسعى في حبس جواري أبي محمد عليه السلام واعتقال حلائله ، وشنَّع على أصحابه بانتظار ولده وقطعهم بوجوده، والقول بإمامته ، وأغرى بالقوم حتى أخافهم وشردهم ، وجرى على مخلفي أبي محمد عليه السلام بسبب ذلك كل عظيمة من اعتقالٍ وحبسٍ وتهديدٍ وتصغيرٍ واستخفافٍ وذل)[2] .

وقد استمرَّت محاولات القضاء على الإمام عليه السلام سنين متمادية، فرغم أنَّ شهادة الإمام العسكري عليه السلام - التي أعقبتها الأحداث

(١) الكافي : ١ / ٥٠٥ .
(٢) الإرشاد : ٢ / ٣٣٦ .

المذكورة - كانت سنة ٢٦٠ هـ في ظلِّ حكومة المعتمد العباسي ، إلا أنَّ بعض النصوص تشير إلى أنَّ داره عليه السلام قد تعرضت إلى الهجوم بهدف قطع رؤوس جميع من يتواجدون فيها ، وكان ذلك بأمر من المعتضد العباسي[1] ، رغم أنَّ المعتضد لم يتسلم زمام الحكم إلاَّ سنة ٢٧٩ هـ ، أي : بعد تسع عشرة سنة من تلك الحادثة ، وهو في هذه المرّة وإن كان قد اكتفى بإرسال ثلاثة من الجنود لأجل تنفيذ تلك المهمة ، إلا إنه في مرّة أخرى قد أرسل جيشاً لأجل إلقاء القبض على الإمام عليه السلام واغتياله ، إصراراً منه على اغتيال الإمام المهدي عليه السلام والقضاء عليه .

وهكذا تتالت المحاولات واحدة بعد أخرى ، حتى انتهت في العصر الحاضر إلى تأسيس مراكز بحثية ومعلوماتية كبرى لا هدف لها إلا رصد حركة الإمام عليه السلام ، والسعي إلى تطويقها والقضاء عليها في مهدها .

س ٣ : هل ثبت ادعاء أحدٌ للمهدوية زمن الأئمة عليهم السلام وقبل ولادة الإمام الحجَّة عجل الله تعالى فرجه الشريف؟ وكيف تعامل الأئمة عليهم السلام مع مثل هذه الدَّعاوى؟

ج ٣ : نعم ، لقد ادّعى المهدوية كثيرون ، كما ادُّعيت أيضاً لكثيرين ، في زمن الأئمة المعصومين عليهم السلام ، وممن ادُّعيت له : سيدنا محمد بن الحنفية رضي الله عنه ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بـ (النفس الزكيّة) ، والإمام محمد الباقر عليه السلام ، وولده الإمام الصادق عليه السلام ، وأولاده الثلاثة : الإمام الكاظم عليه السلام ، وعبد الله وإسماعيل، والسيد محمد بن الإمام علي الهادي عليهما السلام ، وغيرهم .

وقد تعامل الأئمة عليهم السلام مع دعاوى المهدوية ومدّعيها بأسلوبين مهمّين :

---

(١) الغيبة : ١ / ٢٤٨ .

أ - الأسلوب الأوّل : تثقيف الناس بشؤون القضيّة المهدوية ، كتنبيههم على عدم انطباق العلامات على مدعيها أو مَن ادعيّت له ، ومن ذلك ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : (يزعمون أني أنا المهدي ، وإني إلى الأجل أدنى مني إلى ما يدّعون)[1] ، وكأنه عليه السلام يريد بذلك بيان أنَّ المهدي المقصود في الأحاديث الشريفة موعودٌ بالقيام بدور عالمي كبير - يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما تُملأ ظلماً وجوراً - وهذا ما لم يتحقق للإمام الباقر عليه السلام ، فلا تصحُّ دعوى المهدوية في حقه .

وهذا دور تثقيفي هامٌ للأئمة عليهم السلام ، وقد أسهمَ في زيادة وعي الناس بالقضية المهدوية .

ب - الأسلوب الثاني : فضح المدّعيّن وإظهار البراءة منهم ، ومن ذلك ما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام في حق مَن ادّعى له المهدوية ، إنه قال: (لَعَنَ اللّٰه مُحَمَّد بْنَ بَشير ، وَأَذاقَه حَرَّ الْحَديد ، إنَّه يَكْذبُ عَلَيَّ ، بَرِئَ اللّٰه منْهُ وَبَرِئْتُ إلَى اللّٰه منْهُ ، اللَّهُمَّ إنِّي أَبْرَأُ إلَيْكَ ممَّا يَدَّعي فيَّ ابْنُ بَشير ، اللَّهُمَّ أرحْنَي منْهُ)[2] ، ولا تعجب من شدّة لهجته عليه السلام في مواجهة هذا المنحرف ؛ فإنَّ ادّعاء المهدوية ادعاء لمنصب إلهي جليل وخطير ، ولا مجال للتهاون مع مدّعيّه .

س ٤ : كيف استطاع الأئمة عليهم السلام إقناع شيعتهم بإمامة الإمام الحجَّة (عليه السلام) مع لحاظ صغره، وغيبته، مع أنَّ الغالبية العظمى لم يروه ولم يشاهدوه، وقد يكون الغالب لم يعلم بولادته أصلاً؟

ج ٤ / استطاع المعصومون عليهم السلام أن يقنعوا شيعتهم بإمامة الإمام المهدي عليه السلام رغم صغر سنه الشريف وغيبته المباركة ، من خلال ثلاثة أدوار مارسوها :

---

(١) كنز العمّال : ١٤ / ٣١ .

(٢) اختيار معرفة الرجال : ٢ / ٧٧٨ .

أ - الدور الأول : الدور التأسيسي ، وقد اعتمد هذا الدور بشكل رئيسي على تأصيل عقيدة أنَّ الأئمة اثنا عشر إماماً ، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأخرهم المهدي بن الحسن العسكري عليهما السلام ، وقد ضخ المعصومون عليهم السلام هذه العقيدة في أذهان شيعتهم وعبؤوها بها ، وبذلك هيؤوا الأرضية العقائدية لديهم لتقبل إمامة الإمام المهدي عليه السلام بعد أبيه الإمام العسكري عليه السلام بشكل مباشر .

وتأتي في نفس هذا السياق النصوص التي عبرّت بـ (التاسع من ولدك يا حسين)[1] على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، و(التاسع من ولد الحسين)[2] على لسان الصديقة الزهراء عليها السلام ، و(التاسع من ولد أخي)[3] على لسان الإمام الحسن عليه السلام، و (التاسع من ولدي)[4] على لسان الإمام الحسين عليه السلام ، و (السابع من ولدي)[5] على لسان الإمام الباقر عليه السلام ، و (الخامس من ولدي)[6] على لسان الإمام الكاظم عليه السلام ، و (الرابع من ولدي)[7] على لسان الإمام الرضا عليه السلام ، أو (الثالث من ولدي)[8] على لسان الإمام الجواد عليه السلام ، فإنَّ هذه النصوص المكثّفة - التي حددت الشخصية المهدوية وحصرتها بالدقة - قد أرست قواعد إمامة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وشيّدت دعائمها .

ب - الدور الثاني : الدور التقريبي ، وهذا الدور اعتمد على ثقافة إبرازِ النظائر، وهي من الأنماط الثقافية التي تساهم كثيراً في الإقناع بأي قضية من القضايا عن

طريق إبراز نظائرها للأشخاص المخاطبين بها ، وهو ما بدا واضحاً في سيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام الذين كانوا قريبي عهد من عصر

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٣٠٤ .
(٢) كفاية الأثر : ١٩٩ .
(٣) كمال الدين وتمام النعمة : ٣١٦ .
(٤) كمال الدين وتمام النعمة : ٣١٧ .
(٥) كفاية الأثر : ٢٥٢.
(٦) كمال الدين وتمام النعمة : ٣٦١ .
(٧) كمال الدين وتمام النعمة : ٣٧٢ .
(٨) كمال الدين وتمام النعمة : ٣٧٣ .

إمامة الإمام المهدي عليه السلام.

فمن ناحية كان الشيعةُ الإمامية قد ألفوا ظاهرة (الإمامة المبكِّرة) من خلال تصدّي الإمامين الهمامين الجواد والهادي عليهما السلام للإمامة في مرحلة مبكّرة من عمرهما الشريف ، حيث تصديّا لها وهما في العقد الأوّل من حياتهما المباركة .

ومن ناحية أخرى ، فإنَّ الإمامين الهاديين العسكريين عليهما السلام قد احتجبَ كلٌ منهما عن الشيعة مدّة من الزمان ، واعتمدا في طريقة التواصل معهم على شبكة الوكلاء الواسعة ، ممّا ساهم في تهيؤ الشيعة نفسياً وفكرياً لتقبّل غيبة الإمام المهدي عليه السلام والاقتناع التام بها .

وقد تحدث عن ذلك المؤرّخ المسعودي فقال : «روي إنَّ أبا الحسن صاحب العسكر عليه السلام احتجب عن كثير من الشيعة إلا عن عِدد يسير من خواصه ، فلما أفضى الأمر إلى أبي محمد عليه السلام كان يكلّم شيعته الخواص وغيرهم من وراء الستر، الا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان، وإنَّ ذلك إنما كان منه ومن أبيه قبله مقدمة لغيبة صاحب الزمان عليه السلام لتألف الشيعة ذلك ، ولاتنكر الغيبة ، وتجري العادة بالاحتجاب والاستتار»[1] .

ج - الدور الثالث : الدور التطبيقي ، وقد اضلَّع به الإمام العسكري عليه السلام بالخصوص ، لكونه هو الإمام المعاصر للإمام المهدي عليه السلام ، فقام بتطبيق الفكرة - التي تمّ تأسيسها وتقريبها من خلال الدورين المتقدمين - على ولده الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وبما أنَّ الظروف المحيطة بالإمام العسكري عليه السلام كانت ظروفاً حرجة جداً ، حيث كانت السلطة تحسب عليه أنفاسه ، وترصد جميع تحركاته ، ترقباً لولادة المهدي الموعود ، ومحاولة لإطفاء نوره المبارك ، فقد كان إفصاح الإمام العسكري عليه السلام عن ولده مسألة بالغة الحساسية ، وبحاجة إلى

(١) إثبات الوصية : ٢٧٢ .

حسابات دقيقة للغاية ، ومن هنا فقد اعتمد الإمام العسكري عليه السلام أسلوب التطبيق التدريجي .

ففي البداية أطلعَ خوّاص أصحابه على ولادة ولده عليهما السلام ، نظير أحمد بن إسحاق القمي ، كما روى ذلك الشيخ الصدوق قدس سره بسنده عن أحمد بن إسحاق ، قال : سمعتُ أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام يقول : (الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي ، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وخُلقاً ، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته ، ثم يظهره فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)[1].

ثمَّ أتاح عليه السلام بعد ذلك لخواص أصحابه أن يكحّلوا أعينهم بالنظر إلى الغرّة الحميدة لولده المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، فقد روى الشيخ الطوسي (أعلى الله درجته) عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري البزاز، عن جماعة من الشيعة ، منهم : علي بن بلال وأحمد بن هلال ومحمد بن معاوية بن حكيم والحسن بن أيوب بن نوح ، قالوا جميعا : اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام نسأله عن الحجة من بعده ، وفي مجلسه عليه السلام أربعون رجلاً ، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري ، فقال له : يابن رسول الله ! أريد أن اسألك عن أمر أنت أعلم به مني ، فقال له : اجلس يا عثمان . فقام مغضباً ليخرج، فقال لا يخرجنّ أحد ، فلم يخرج أحد إلى أن كان بعد ساعة ، فصاح عليه السلام بعثمان ، فقام على قدميه . فقال : أخبركم بما جئتم؟ قالوا : نعم يابن رسول الله . قال : جئتم تسألونني عن الحجة من بعدي . قالوا : نعم ، فإذا غلام كأنه قطع قمر ، أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام ، فقال : هذا إمامكم من بعدي ، وخليفتي عليكم ، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر ، فاقبلوا من عثمان ما يقوله ، وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله ، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه)[2] .

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٤٠٩ .
(٢) كتاب الغيبة : ٣٥٧ .

س ٥ : مع اعتقاد جميع المسلمين بأصل قضية الإمام المهدي عليه السلام، إلا أنّنا نرى أنّ الاهتمام بهذه القضية يكاد يكون منحصراً بالشيعة، ما هو السِّر وراء ذلك؟ وهل الاعتقاد بكونه مولوداً له دخل في هذا الاهتمام؟

ج ٥ / يكمن السر في ذلك وراء عدّة من الأسباب ، وسوف نكتفي بالإشارة إلى أهمّها :

١ . السبب الأوّل : موقعية العقيدة المهدوية في المنظومة العقائدية، فإنها في مدرسة الشيعة الإمامية قد صُنفت فيما يرتبط بأصل القضية من ضروريات الدين ، وفيما يرتبط بولادة الإمام المهدي عليه السلام ووجوده من ضروريات المذهب ، فهي بكلا شقّيها مصنَّفة ضمن العقائد المحورية ، وهذا بطبيعة الحال يفرض العناية الفائقة بها .

بينما هي في المنظومة العقائدية لمدرسة الجمهور لا تحتل موقعيّة موحدّة، ففي الوقت الذي صرَّح فيه بعضهم بكفر مَن أنكرَ المهدوية - كما حكى ذلك عنهم المتقي الهندي في كتابه (البرهان)[١] - بالغَ بعضهم الآخر بتهميشها، ومنهم : ابن خلدون، حيث قال بعد ذكره لبعض الأحاديث الواردة في المهدي : (فهذه جملة الأحاديث الّتي خرّجها الأئمّة في شأن المهديّ وخروجه آخر الزّمان ، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النّقد إلّا القليل والأقل منه)[٢] .

ومنهم : محمد رشيد رضا ، فقد قال معلقاً على أحاديث المهدي: (وأما التعارض في أحاديث المهدي فهو أقوى وأظهر، والجمع بين الروايات فيه أعسر، والمنكرون لها أكثر، والشبهة فيها أظهر، ولذلك لم يعتد الشيخان بشيء من رواياتها في صحيحيهما)[٣] .

---

(١) البرهان في علامات مهدي آخر الزمان : ١٧٩ .
(٢) تاريخ ابن خلدون : ١ / ٤٠١ .
(٣) تفسير المنار : ٩ / ٤١٦ .

وقال أبو الأعلى المودودي : (ومما يناسب ذكره بهذا الصدد إنه ليس من عقائد الإسلام عقيدة عن المهدي، ولم يذكرها كتاب من كتب أهل السنة للعقائد)[1] .

وأما مفتي قطر السابق ورئيس محاكمها الشرعية الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود فقد كتب رسالة وعنونها بعنوان (لا مهديّ يُنتظر بعد الرسول محمد خير البشر) ، وقال في مقدمتها : (مسألة المهدي ليست في أصلها من عقائد أهل السنة القدماء ، فلم يقع لها ذكر بين الصحابة في القرن الأول ، ولا بين التابعين ، وأنَّ أصل من تبنى هذه الفكرة والعقيدة هم الشيعة .. فسَرَت هذه الفكرة بطريق المجالسة والمؤانسة والاختلاط إلى أهل السنة ، فدخلت في معتقدهم، وهي ليست من أصل عقيدتهم)[2] .

وقال أيضاً بعد إبداء بعد الملاحظات الهشّة على أحاديث المهدي : (فهذه وما هو أكثر منها ، مما جعلت المحققين من العلماء يوقنون بأنها موضوعة على لسان رسول الله ﷺ ، وأنها لم تخرج من مشكاة نبوته ، وليست من كلامه ، فلا يجوز النظر فيها ، فضلاً عن تصديقها)[3] .

ولم يكتف بذلك ، بل عقدَ فصلاً كاملاً في رسالته تحت عنوان (محاربة أكثر علماء الأمصار لاعتقاد ظهور المهدي) ، وقال في بدايته: (وقد قرروا - أي : العلماء- قائلين : إنَّ أساس دعوى المهدي مبني على أحاديث محقق ضعفها وكونها لا صحة لها ، ولم يأت حديث منها في البخاري ومسلم مع رواج فكرتها في زمنهما ، وما ذاك إلا لعدم صحة أحاديثه عندهما ، مع العلم أنها على فرض صحتها لا تعلق لها بعقيدة الدين .. فليست من العقائد الدينية كما زعم دعاتها والمتعصبون لصحتها ، وقد ثبت بطريق الواقع المحسوس أنَّ

(١) نُقل عنه في كتاب (لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر) : ٩ .
(٢) لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر : ٣.
(٣) لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر : ٦ .

فكرة المهدي أصبحت فتنة لكل مفتون ، تنتقل من جيل إلى جيل، ومن زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان ، وتراق من أجلها الدماء الزكية البريئة ..

والحاصل : أنه يجب طرح فكرة المهدي ، وعدم اعتقاد صحتها ، وعندنا كتاب الله نستغني به عنه ، وعن كل بدعة واتباع كل مبتدع مفتون ، وهو الملجأ الذي أوصانا رسول الله باللواذ به عند الفتن ، كما لدينا سنة رسول الله الصحيحة الصريحة ، سواء كانت متواترة أو من رواية الآحاد غير المتعارضة ولا المختلقة .

ولعلَّ العلماء الكرام ، والأكابر من الطلاب ، يقومون بجد ونشاط إلى بيان إبطال فكرة المهدي وفساد اعتقاده ، وسوء عاقبته عليهم وعلى أولادهم من بعدهم، وعلى أئمة المسلمين وعامتهم ، وما هي إلا أحاديث خرافة تلعب بالعقول ، وتوقع في الفضول ، وهي لا تتفق مع سنة الله في خلقه ، ولا مع سنة رسول الله في رسالته ، ولا يقبلها العقل السليم)[1] .

٢ . السبب الثاني : هشاشة الصورة المرسومة للإمام المهدي عليه السلام في مدرسة الجمهور ، ففي الوقت الذي ترسم مدرسة الشيعة الإمامية - على ضوء أحاديث النبي والعترة الطاهرة عليهم السلام - صورة فريدة للإمام

المهدي عليه السلام ، تفرض أن تهفو له النفوس وتتعلق به الآمال ، تجد أنَّ صورته التي رسمها بعض أعلام مدرسة الجمهور صورة عادية جداً ، لا تثير المطلع عليها ولا تشدّه نحو صاحبها ، وإن أردت أن تتعرف على صدق هذه الدعوى فقارن بين الكلامين التاليين :

أ - يقول الفقيه الجليل العلامة المحدّث الشيخ النوري (طابت روحه) متحدّثاً عن الإمام المهدي عليه السلام : (خلف السلف ، وصاحب غالية عزة الشرف ، قطب الأرض، وغوث الزمان ، كنز الرجاء ، وكهف

(١) لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر : ٤٠ .

الأمـان ، والجوهـرة المضيئـة في بحـر الامـكان ، الحجـاب الأزلـي للحـق السـبحان ، والاسـم الأعظـم الإلهـي المخفـي والمسـتور ، وعنقـاء القـاف المحيـط بالعالـم ، وحاكـم المحتاجـين ، والطالـب بـدم المصطفـين ، ومطهّـر أطـراف الأرض مـن لـوث الملحديـن ، وملـك ملوك ممالك الأرض والسـماء، وحجـة اللّٰه البالغـة علـى العالـم والعالمين بقيـة اللّٰه الحجـة بـن الحسـن العسـكري صاحـب العصـر والزمـان « عليـه وعلـى آبائـه صلـوات اللّٰه الملـك المنـان »)[1] .

ب - بينمـا يقـول الشـيخ عبـد اللّٰه آل محمـود : (حتـى لـو صدقنـا الأحاديـث الـواردة في المهـدي ، فهـو ليـس بملـك معصوم ، ولا نبـي مرسـل ، مـا هـو إلا رجـل عـادي ، كأحـد أفـراد النـاس إلا أنه عـادل ، وكل الأحاديث الـواردة فيـه ضعيفـة ويترجـح أنهـا موضوعـة علـى لسـان رسـول اللّٰه ولـم يحـدث بهـا)[2] .

وقـد وافقـه علـى كلامـه الشـيخ حمـود بـن عبـد اللّٰه التويجـري ، حيـث قـال : (وأمـا قولـه : « مـا هـو إلا رجـل عـادي كأحـد أفـراد النـاس ، إلا أنـه عـادل يملأ الأرض عـدلاً كمـا ملئـت جـورًا » ، فجوابـه : أن يقـال هـذا هـو الحـق لـو أنَّ ابـن محمـود ثبـت عليـه)[3].

وبالمقارنـة بـين هذيـن الكلامـين ينكشـف لـك أحـد أسـرار اهتمـام الشـيعة بالقضيـة المهدويـة ، وتهميـش غيرهـم لهـا .

وهـذا الـذي حدسـنا بـه قـد أفصحَ عنـه أحـد الكُتّـاب الجزائريـين وصرَّح بـه ، فقـال : (ففـي حـين تـرى جماهيـر الأمّـة أنّ قضيـة "المهـديّ" مـن هوامـش العقيـدة التـي لا يكفّـر مسـلم بسـببها ، تتعلّـق برجـل صالـح أخبـر المصطفـى- صلّـى اللّٰه عليـه وآلـه وسلّم- بوجـوده في آخـر الزّمـان، اسـمه كاسـم النبـيّ صلّـى اللّٰه عليـه وآلـه وسلّم ، واسـم أبيـه كاسـم أبـي

(١) النجم الثاقب : ١ / ١١٥ .
(٢) لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر : ١٥ .
(٣) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر : ١٨٠ .

النبـيّ عليـه الصّـلاة والسّـلام .. مـن نسـل الحسـن بـن علـيّ بن أبـي طالب رضـي اللّٰه عنهمـا .. يُولـد كمـا يولـد كلّ الرّجـال ، ويعيـش كمـا يعيش كلّ النّـاس ، ويـراه أهلـه وأقربـاؤه وكلّ مـن حولـه ، هـو لا يعلـم أنّـه سـيكون المهـديّ ، والنّـاس مـن حولـه كذلـك ، حتـى تقـع فتنـة في المدينـة المنـوّرة علـى إثـر مقتـل أميـر مـن الأمـراء ، فيخـرج المهـديّ مـن المدينـة إلـى مكّـة مـع مـن يخـرج ، فيأتيـه النّـاس ويختارونـه للبيعـة وهـو كاره ، ويبايعونه بـين الرّكـن والمقـام أميـراً لهـم ، وعنـدمـا تتـمّ لـه البيعـة يأتيـه جيـش مـن الشّـام لحربـه فيخسـف اللّٰه بذلـك الجيـش في الصّحـراء بـين مكّـة والمدينـة .. عنـدهـا فقـط يعلـم ويعلـم النّـاس مـن حولـه أنّـه المهـديّ ، فيتوالـى المسلمون علـى بيعتـه ، ويبـدأ فتوحاتـه لاسـتعادة مجـد الأمّـة السّـليب .

هـذا مـا يعتقـده جمهـور المسلمين في حقّ "المهـديّ"، الـذي لـم تكلّـف الأمّـة ولـم تتعبّـد بانتظـاره ، إنّمـا بالعمـل الجـادّ الـدّؤوب لديـن اللّٰه ، حتـى يتـوّج سـعيها بقائـد فـذّ مـن نسـل نبيّهـا الخـاتم - عليـه الصّـلاة والسّـلام- يعيـد اللّٰه علـى يديـه للأمّـة مجدهـا وعزّهـا ، لكـنّ طائفـة واحـدة مـن هـذه الأمّـة هـي الطائفـة الشـيعية الإماميـة الاثنـا عشـرية، شـذّت في اعتقادهـا بالمهـديّ "المنتظـر" عـن سـائر طوائـف المسلمين وعـن بقيـة طوائـف الشّـيعة نفسـها ، وجعلـت الإيمـان بـه أصـلاً مـن أصـول العقائـد التـي يقـع عليهـا الـولاء والبـراء والخصـام والفصـام)[1] .

وقـال د. علـي محمـد حسـن الأزهـري في مقـال لـه تحـت عنـوان (المهـدي بـين الشـيعة وأهـل السـنة) : (إنَّ المهـديَّ عنـد أهـل السـنة يختلـف عـن معتقـد الشـيعة فيـه ؛ فأهـل السـنة يصدقـون خبـر رسـول اللّٰه صلـى اللّٰه عليـه [وآلـه] وسـلم فيـه ، وأنـه مـن آل بيتـه، ويؤمنـون بمـا صحَّ مـن صفاتـه عـن نبيهـم صلـى اللّٰه عليـه [وآلـه] وسـلم ولا يزيـدون علـى ذلـك ، فـلا أثـر لهـذا الأمـر علـى العقيـدة أو العمـل أو الإيمـان وعدمـه كمـا هـو الحـال عنـد الشـيعة الذيـن غالـوا في الأمـر

(١) مقال بعنوان (هذه حقيقة المهدي المنتظر) للإعلامي الجزائري سلطان البركاني ، وهو منشور على الموقع الالكتروني (الشروق) التابع لجريدة الشروق الجزائرية ، ومؤرّخ بتاريخ ٢٩ / ٤ / ٢٠١٦ م .

حتى أصبح من أصول الإيمان عندهم)[1].

٣ . السبب الثالث : اهتمام الشيعة بالعقيدة المهدوية ، فإنَّ هذا الاهتمام الظاهر في العديد من أقوالهم وأفعالهم وشعائرهم العامة، ألقى بظلاله على موقف الآخرين منها بشكل معاكس ، وهذا ما أفصح عنه أحَد الكتَّاب من أتباع مدرسة الجمهورِ، حيث قال : (ولكنّ بعض شيوخنا حشروه - أي : الاعتقاد بالمهديّ - ضمن عقيدة المسلم ، وكان ينبغي استبعاده ؛ لأنّ الشيعة يعتبرونه من العقيدة ، لأنّه إمام والإمام منها ، بينما أهل السنّة ألحقوا موضوع الإمامة لمجرّد الردّ على الشيعة ، وحيث استبعد الأصل كان ينبغي استبعاد ما تبعه ، ومن ألحقه لأنه من أشراط الساعة كان عليه أن يتذكّر أنّ أحاديثها من أخبار الآحاد التي لا تثبت بها عقيدة)[2] .

وربما يبدو هذا السبب تافهاً لأوّل وهلة ، ولكنّه سبب واقعي بالغ التأثير ، وله العديد من الشواهد في كلمات القوم ، ولا بأس بتوثيق بعضها :

١ - الشاهد الأوّل : قال نجم الدين الغزّي : (وعن أبي حنيفة، ومالك، وأحمد رضي الله تعالى عنهم : أنَّ التسنيم أفضل ، وعلّلوه بأنَّ التّسطيح صار شعارًا للشّيعة)[3].

٢ - الشاهد الثاني : وقال الزمخشري في تفسيره : (وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو ، فمكروه ، لأنَّ ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله «صلى الله عليه [وآله] وسلم» ، ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض)[4] .

(١) مجلة مقاربات ، العدد : ٣ ، الصفحة : ٢٠ ، الصادر في شهر شوال سنة ١٤٣٩ هـ عن المجلس الإسلامي السوري .
(٢) تراثنا وموازين النقد : ١٨٨ ، للأستاذ السائح علي حسين ، وهو مقال منشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية في طرابلس / ليبيا ، العدد : ١٠ لسنة ١٩٩٣ م .

(٣) حسن التنبّه لما ورد في التشبّه : ٧ / ٥٥٩ .
(٤) الكشّاف : ٣ / ٥٥٨ .

٣ - الشاهد الثالث : وقال الحافظ العراقي متحدثاً عن كيفية تعمّم النبي صلى الله عليه وآله : (فلعلّه [أي : النبي صلى الله عليه وآله] كان يرخيها من الجانب الأيمن ، ثمَّ يردها إلى الجانب الأيسر ، كما يفعل بعضهم ، إلا أنه صار شعار الإمامية ، فينبغي تجنبه لترك التشبّه بهم)[١] .

٤ - الشاهد الرابع : وقال ابن الرفعة في شرحه على كتاب (التنبيه) في الفقه الشافعي : (وقوله : « وإنما يخالفهم في هيئات مثل التختم في اليمين وأمثاله » أشار به إلى أنَّ التختم في اليمين قد صار شعاراً لهم [أي : الشيعة] ؛ فترك لأجل ذلك ، ويتختم في اليسار ، وإن كان رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلم - يتختم في اليمين ، إذ هو هيئة)[٢] .

٥ - الشاهد الخامس : وقال البهوتي في روضه : (ويُكره أن يخصّ جبهتَه بما يَسجدُ عليه ؛ لأنّه مِن شِعارِ الرّافضة)[٣] .

٦ - الشاهد السادس : وقال الإسنوي : (وحكى أبو الفضل بن عبدان عن أبي علي بن أبي هريرة أنه قال : المستحب ترك القنوت في صلاة الصبح ؛ إذ صار شعار قوم من الشيعة)[٤] .

٧ - الشاهد السابع : وقال ابن تيمية في منهاجه : (حَتَّى أَنَّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ وَغَيْرَهُ مِنَ الأَئِمَّةِ يَذْكُرُونَ فِي عَقَائِدِهِمْ تَرْكَ الْجَهْرِ بِالْبَسْمَلَةِ ؛ لأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ شِعَارِ الرَّافِضَةِ ، كَمَا يَذْكُرُونَ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ ؛ لأَنَّ تَرْكَهُ كَانَ مِنْ شِعَارِ الرَّافِضَةِ)[٥] .

وليس ذلك فحسب ، بل إنه قد نقل عن بعض الفقهاء التقعيد الكبروي لذلك، فقال : (وَمِنْ هُنَا ذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ مِنَ

---

(١) شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية : ٦ / ٢٧٦ .
(٢) كفاية النبيه في شرح التنبيه : ٥ / ١٤٦ .
(٣) الروض المربع بشرح زاد المستنقع : ١ / ٢٦٩ .
(٤) المهمات في شرح الروضة : ٣ / ٨١ .
(٥) منهاج السنّة : ٤ / ١٥١ .

الْفُقَهَاءِ إِلَى تَرْكِ بَعْضِ الْمُسْتَحَبَّاتِ إِذَا صَارَتْ شِعَارًا لَهُمْ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ وَاجِبًا بِذَلِكَ ، لَكِنْ قَالَ : فِي إِظْهَارِ ذَلِكَ مُشَابَهَةٌ لَهُمْ، فَلَا يَتَمَيَّزُ السُّنِّيُّ مِنَ الرَّافِضِيِّ ، وَمَصْلَحَةُ التَّمْيِيزِ عَنْهُمْ لِأَجْلِ هِجْرَانِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ ، أَعْظَمُ مِنْ مَصْلَحَةِ هَذَا الْمُسْتَحَبِّ)[1] .

وبالمرور بهذه الشواهد السبعة - وما قرأناه من التنظير والتقعيد لها - تنكسر سورة البعد عن سببية هذا السبب ، وتأثيره في تهميش العقيدة المهدوية لدى غير الشيعة .

٤ . السبب الرابع : الإقصاء السياسي ، فإنَّ العقيدة المهدوية نظراً لما تشكّله من مصدر قلق كبير وخطير على واقع السلطة السياسية غير الشرعية ؛ لذلك اهتمَّت السلطات السياسية اهتماماً بالغاً ببناء حاجز نفسي ضخم لدى بعض المسلمين تجاه عقيدة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، بهدف محاصرة هذه العقيدة وتضييق مساحة تأثيرها ، نظراً لما تضخّه في النفوس المستضعفة من قيم الصمود والإصرار والأمل ، وما تلهمه إياها من قوّة الإيمان وصلابة الولاء .

ومن الظواهر الملفتة في الآونة الأخيرة - في ظل المتغيّرات العالمية- ظاهرة تكاتف المستشرقين على تسليط الأضواء على القضية المهدوية ، ومحاولة مسخها وتشويهها وتوهينها ، ممّا يكشف عن مدى الحيّز الذي أخذت تشغله في مجال الدراسات الاستراتيجيّة والعلوم الاجتماعيّة السياسيّة ، ولا هدف من وراء ذلك سوى تمييع القضية المهدوية في نفوس المسلمين والحدّ من مستوى التفاعل معها.

(١) منهاج السنة : ٤ / ١٥٤ .

س ٦ : هل هناك من علماء العامَّة المعتمدين عندهم من يعتقد بولادة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وعلى فرض ذلك، فهل لهذا الاعتقاد أثر عملي على علاقتهم بالقضية المهدوية؟

ج ٦ : ابتداءً يجدر الالتفات إلى أمر مهم للغاية ، وهو يتضمن مفتاح الإجابة عن السؤال بكلا شقيه ، وهذا الأمر هو أنَّ الأجواء العامة لمدرسة العامة لم تكن تساعد علماءهم على اعتناق بعض العقائد المخالفة لما عليه الجمهور ، ويمكن استكشاف هذه الأجواء من خلال ما ذكرناه في بيان السبب الثالث من الأسباب آنفة الذكر، ولنا أن نذكر أنموذجاً واحداً يؤكّد ذلك ، ألا وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ[١] ، فإنه ممّن آمن بولادة الإمام المهدي عليه السلام وامتداد حياته المباركة ، وكان أثر اعتقاده هذا هو تصنيفه لكتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان) ، وقد عقدَ فيه باباً كاملاً تحت عنوان (في الدلالة على جواز بقاء المهدي منذ غيبته)[٢] ، ولكنّ اعتقاده هذا كان هو الشجرة التي صُلِبَ عليها .

ويشهد لذلك ما جاء في ترجمة أبو شامة المقدسي له ، حيث قال : (قُتِلَ بجامع دمشق يوم التاسع والعشرين من رمضان ، وكان فقيهًا محدّثا ، لكنه كان كثير الكلام ، يميل إلى الرّفض ، جمع كُتُبًا في التشيع وداخل التّتار ، فانتدب له من تأذى منه فبقر بطنه بالجامع ، قُتِل كما قُتِل غيره من أعوان التّتار)[٣] .

وقال اليونيني : (فثاروا العوام بدمشق ، وقتلوا الفخر محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي في جامع دمشق ، وكان المذكور من أهل العلم ، لكنَّه كان في شرٍّ وميل إلى مذهب الشيعة ، وخالطه الشمس

---

(١) ترجمه الزركلي في الأعلام : ٧ / ١٥٠ فقال : (محمد بن يوسف بن محمد، أبو عبد الله بن الفخر الكنجي : محدث من الشافعية ، نسبته الى (كنجة) بين أصبهان وخوزستان ، نزل بدمشق ، ومال الى التشيع ، وصنف « كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ط » و « البيان في أخبار صاحب الزمان - ط »)، وصرَّح بشافعيته أيضاً حاجي خليفة في (كشف الظنون) ٢ / ٤٩٧ ،

(٢) البيان في أخبار صاحب الزمان : ٤٧٣ .

(٣) تاريخ الإسلام : ١٤ / ٩٠٠ .

القمي الّذي كان حضر إلى دمشق من جهة هولاكو ، ودخل معه في أخذ أموال الغياب عن دمشق فقتل)[1] .

وكما قرأنا فإنَّ هذا الرجل لمحض تأليفه كتابيه المشهورين : (كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام) و (البيان في أخبار صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف) اتُّهم بالتشيع والرفض ، وكان مصيره هو بقر بطنه في جامع الصِلاةَ ، مما يؤكّد بنحو قاطع أنَّ البوحَ بالمعتقدات التي اشتهرَ الشيعةُ بالاعتقاد بها كان محظوراً وإن قاد إليه الدليل، فضلاً عن ترتيب الأثر العملي على هذا الاعتقاد .

ومع ذلك فإنَّ علماء الجمهور الذين أفصحوا عن اعتقادهم بولادة الإمام المهدي عليه السلام وامتداد حياته المباركة ليسوا بالقليل ، وقد أحصى المحدّث النوري (قدَّس الله نفسه) في كتابه الجليل (كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار) منهم أسماء أربعين عالماً [2] ، كما رصد مثلهم الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية)[3] ، وأنهاهم المرجع الديني المعاصر الشيخ الصافي (طاب مثواه) في كتابه (منتخب الأثر) إلى ثمانية وستين اسماً[4] ، وربما اشتركوا في بعض الأسماء .

س٧: مع تواتر ما نقل عن مجموعة كبيرة من العلماء أنَّهم التقوا بالإمام عليه السلام في عصر الغيبة الصُّغرى أو الكبرى، كيف نوفق بين ذلك وبين ما ورد من أنَّ من ادَّعى الرُّؤية فكذبوه؟

ج ٧ / ابتداءً ينبغي حصر الإشكال في خصوص مَن تشرفوا برؤيته (أرواحنا فداه) في عصر الغيبة الكبرى ، لأنَّ ما ورد من تكذيب مَن ادّعى الرؤية قد وردَ ضمن التوقيع الذي خرج لآخر السفراء

(١) ذيل مرآة الزمان : ١ / ٣٦١ .
(٢) كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار : ١٣٧ فما بعدها .
(٣) المهدي الموعود المنتظر : ١ / ١٨٢ .
(٤) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر : ٢ / ٣٧١ .

الأربعة، وهو علي بن محمد السمري (رضوان الله عليه) ، وكان ذلك في آخر حياته الشريفة ، ممّا يعني تزامن صدور التوقيع مع نهاية مرحلة الغيبة الصغرى ، فلا يكون شاملاً لدعوى الرؤية فيها .

على أنَّ لفظ (الرؤية) لم يرد في التوقيع الشريف ، وإنما الوارد هو لفظ (المشاهدة) ، حيث جاء فيه : (ألا فمن ادَّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذبٌ مفتر)[1] ، ولا تتمُّ دعوى التنافي بينه وبين دعوى الرؤية في زمن الغيبة الكبرى إلا بناءً على تفسير المشاهدة بالرؤية .

فينحصر الإشكال - كما اتضح - بدعوى الرؤية في عصر الغيبة الكبرى ، بعد التسليم بإرادة الرؤية من لفظ المشاهدة ، ومع ذلك يمكن التفصّي عنه بأحد أجوبة ثلاثة :

الجواب الأوّل : المشاهدة بمعنى الرؤية القطعية اليقينية .

وحاصله : أنَّ المراد من المشاهدة ها هنا ليس مطلق الرؤية ، وإنما خصوص الرؤية القطعية اليقينية، وشاهد ذلك أنه لو أنّ شخصاً شكَّ في رؤية الهلال فإنه لا يصح أن يُقال عنه أنَّه شاهده ، وأما إذا قطع بمشاهدته وتيقّنها صحّ أن يُوصف بالمشاهدة .

وبناءً على ذلك ، فسيرة علماء الطائفة لا تتنافى مع هذا التوقيع الشريف حتى يلزم تكذيبهم ، إذ هم لا يقطعون ويجزمون بأنَّ الذي رأوه هو الإمام المنتظر (أرواحنا فداه) ، وإنما يحتملون ذلك وفقاً للقرائن والأمارات ، فالتوقيع ينفي شيئاً ، وما عليه علماء الطائفة شيء آخر ، فينحل الإشكال .

ويمكن أن يُتأمل في هذا الجواب :

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٥١٥ .

بـأنَّ المشـاهدة مأخـوذةٌ مـن الفعـل (شـاهِد) ، وليسـت مأخـوذةً مـن الفعـل (شـهِد)، ولـذا تقـول : شـاهد مشـاهدةً ، وشـهد شـهادةً ، وفـرقٌ بين الإثنـين ، فـإنَّ الـذي أخـذ في دلالتـه القطـع واليقـين هـو الفعـل (شـهِد)، بينمـا دلالـة (شـاهد) أعـمُّ من ذلـك ، فتشـمل اليقينيـة والظنيـة أيضاً.

الجواب الثاني : التكذيب لادّعاء المشاهدة ، لا للمشاهدة .

وحاصلـه : أنَّ التكذيـب في التوقيـع الشـريف متوجـهٌ لمـن يدّعـي المشـاهدة ، لا لأصـل المشـاهدة ، إذ أنـه لـم يقـل : (وسـيأتي شـيعتي مـن يشـاهد) ، وإنمـا قـال : (وسـيأتي شـيعتي مـن يدّعـي المشـاهدة) ، وهـذا يسـتدعي الـكلام في معنـى الادّعـاء ، فنقـول : الادّعـاء هـو : الإخبـار الـذي تتسـاوى فيـه نسـبة الصـدق والكـذب ، كمـا لـو كان فاقـداً للبينـة.

وبنـاءً علـى ذلـك فـإنَّ التكذيـب في التوقيـع متوجـه للمدّعـي الـذي تتسـاوى نسـبة الصـدق والكـذب في كلامـه ، وهـذا لا ينطبـق علـى علمـاء الطائفـة العظـام الذيـن نُحـرز وثاقتهـم وورعهـم وتقواهـم ، كأصحـاب الكرامـات مثـل السـيد بحـر العلـوم والمقـدس الأردبيلـي (رضـوان اللّه تعالى عليهما) ، فـإنَّ نسـبة الصـدق هـي الراجحـة لهمـا ولأمثالهـا علـى أقـل التقاديـر ، إن لـم نقـل إنهـا فيهـم يقينيـة .

وعليـه : فالنـص لا يشـمل علمـاء الطائفـة ومَـن بحكمهـم .

الجواب الثالث : الرؤية الخاصة .

وحاصلـه : إنَّ الإشـكال - كمـا أومأنـا في بدايـة الإجابـة - يبتنـي علـى إرادة مطلـق الرؤيـة مـن لفـظ المشـاهدة ؛ إذ بنـاءً عليـه سـيكون شـاملاً للرؤيـة التـي حظـي بهـا علماؤنـا الأبـرار ، وهـذا مـا نمنعـه في المقـام ، ونقـول : إنَّ المـراد بالمشـاهدة الرؤيـة الخاصـة ، أي : الرؤيـة الملازمـة لمقـام النيابـة عنـه (أرواحنـا فـداه) ، فـإنَّ المتشـرّف بالنيابـة الخاصـة عنـه يحظـى بالاجتمـاع بـه والتلقـي المباشـر منـه ، فيفـوز برؤيـة خاصـة لا

يفوز بها سواه ، وبناءً على إرادة خصوص هذه الرؤية لن يكون الأمر بتكذيب مدعي الرؤية شاملاً لرؤية العلماء والأولياء .

ولو أُشكل على هذا الجواب بمخالفته لإطلاق لفظ المشاهدة ؛ إذ المتفاهم منه هو مطلق الرؤية ، لا الرؤية الخاصة .

أمكن أن يُجاب عنه : بأنَّ من المقرَّر في محله من علم الأصول أنَّ التمسّك بالإطلاق لا يكون إلا عند انعدام القرينة على التقييد ، وأما عند وجودها فنحن وهي .

وبما أنَّ القرينة على التقييد موجودة في المقام فهذا يكفي لحمل لفظ (المشاهدة) على الرؤية الخاصة ، دون مطلق الرؤية ، وبيانها يتوقف على بيان مقدمتين :

أ - المقدّمة الأولى : إنَّ صدر التوقيع يتحدث بالتأكيد عن خصوص النيابة الخاصة ، كما يظهر ذلك من فقرتين من فقراته :

الفقرة الأولى : قولُ التوقيع : (فاجمع أمرك ، ولا توص إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة الثانية) .

وتقريبُ هذه الفقرة : أنَّ مقام علي بن محمد السمري هو مقام النيابة الخاصة عن الإمام الحجة (أرواحنا فداه) ، وقد أوصاه عليه السلام بجمع أمره ، ونهاه عن الوصاية لأحد من بعده ليقوم هذا المقام ، وعلّل ذلك بوقوع الغيبة الثانية - وفي بعض النسخ (التامة) - وتعليل النهي بوقوع الغيبة كاشفٌ عن عليّة الغيبة لامتناع مقام النيابة الخاصة على أحدٍ فيها .

الفقرة الثانية : قول التوقيع : (فلا ظهور إلا بعد إذن الله عزَّ وجلَّ) .

فإنّه ظاهرٌ أيضاً في نفي السفارة والنيابة الخاصة ، وذلك بالالتفات إلى أمرين:

الأمر الأول : أنَّ الإمام «صلوات اللّٰه عليه» له نحوان من الظهور :
النحو الأول : ظهور عام لمن أمكنَ لقاءه من الناس .
النحو الثاني : ظهور خاص لنوابه فقط .

ولا يخفى أنَّ النحو الأول من الظهور قد انقطع بانقطاع الغيبة الصغرى ، أي : أنّه استمر لمدة خمس سنوات فقط .

وأما النحو الثاني فهو الذي كان لخصوص سفرائه منذ ابتداء الغيبة الصغرى حتى انتهائها .

الأمر الثاني : أنَّ الظهور المنفي في هذا التوقيع الشريف - بلحاظ صدوره في آخر زمن الغيبة الصغرى- هو الظهور بالنحو الثاني لا الأوّل ، إذ الأوّل منتف بحسب الفرض ، فنفيه يكون لغواً وبلا موجب، وكلام المعصوم عليه السلام يجل عنه.

وإذا كان الظهور الخاص المرتبط بالنّواب منفياً ، فوجود النوّاب منفيٌ تبعاً له أيضاً ، وبذلك يتمّ الاستدلال بهذه الفقرة على امتناع النيابة الخاصة في زمن الغيبة الكبرى ، ومن خلالها أيضاً يتضح نظر التوقيع لخصوص النيابة الخاصة .

ب - المقدمة الثانية : إنَّ نظم التوقيع الشريف صدراً وذيلاً أشبه بالمقدمات ونتيجتها ، ولنتشرف بإثباته ها هنا ليتضح الأمر جليّاً ، فقد ورد عنه (أرواحنا فداه) :

(بسْمِ اللّٰهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، يا عليَّ بنِ محمّدٍ السِّمَّريّ ، أعظمَ اللّٰه أجرَ إخوانَكَ فيكَ ، فإنّكَ ميِّتٌ ما بينكَ وبينَ ستّةِ أيّامٍ ، فاجمعْ أمرَكَ ولا توصِ إلى أحدٍ يقومُ مقامَكَ بعدَ وفاتكَ ، فقدْ وقعَتْ الغيبةُ

الثّانية ، فلا ظهورَ إلّا بعد إذن اللّه -عزَّ وجلَّ- وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جورا ، وسيأتي شيعتي مَنْ يَدَّعي المشاهدةَ ، ألا فمَن ادَّعى المشاهدة قبل خروج السّفيانيِّ والصّيحة فهُوَ كذّابٌ مفتر ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلّا باللّه العليِّ العظيم)[1] ، فالتوقيعُ أولاً قد أفاد انتهاء النيابة الخاصة - بالنحو الذي أوضحناه - ثمّ أوضحَ علّة ذلك ، وهي وقوع الغيبة التامة ، كما اتضّح أيضاً ، ثمَّ عقَّب على ذلك ببيان النتيجة ، وهي ضرورة تكذيب مدعي المشاهدة .

فيكون المقصود من المشاهدة : الرؤية الخاصة التي قد أثبت التوقيع انقطاعها بانقطاع الغيبة الصغرى ، بسبب وقوع الغيبة التامة .

س ٨ : سماحة السيِّد ، في كلِّ عصر نرَى بعضَ المدَّعين للمهدوية أو الاتصال بالإمام عليه السلام ، ونرى بعض الجهلة يصدِّقون بذلك ، كيف استطاع هؤلاء إقناع البعض بهذه الدعاوى الباطلة؟ وكيف نحصِّن أنفسنا من هؤلاء المدَّعين؟

ج ٨ :

أ / أما فيما يرتبط بالشقّ الأوّل من سؤالكم : فجوابه قد اختزله أمير المؤمنين عليه السلام في تقسيمه الثلاثي المعروف ، حيث قال : (النَّاسُ ثَلاثَةٌ : فعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ، ومُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاة ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ ، أتْبَاعُ كُلِّ نَاعِق ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيح ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَلْجَؤُوا إلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ)[2] ، فإنّه عليه السلام بعد أن تحدَّث عن القسمِ الثالث من الناس ، وهم الذين ينعقون مع كل ناعق ، ويميلون مع كل ريح ، أوضحَ سبب صيرورتهم كذلك ، وأرجعَ ذلك - ككبرى كليّة - إلى سببين مهمّين :

السبب الأوّل : عدم الاستضاءة بنور العلم .

السبب الثاني : عدم اللجوء إلى ركن وثيق .

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٥١٥ .

(٢) نهج البلاغة : ٤ / ٣٦ .

وإذا أردنا أن نطبِّق السببين المذكورين على موضوع السؤال - أي : أتباع مدَّعي المهدوية - فيمكننا بسط الكلام حولهما بالبيان التالي:

السبب الأوّل : عدم الاستضاءة بنور العلم .

وهذا سببٌ مهم جداً في انصياع أتباع مدعي المهدوية وراء دعاواهم الزائفة ، وهو عنوان عريض تندرج تحته مجموعة من مستويات الجهل والفقر الثقافي ، ولا بأس بالإشارة إلى أهمّها :

المستوى الأوّل : الجهل بصفات الإمام المهدي عليه السلام .

نظير كونه هو مهدي آل محمد عليهم السلام ولا مهدي سواه ، وأنّه القائم بالأمر ولا قائم غيره ، وأنه آخر الأئمة عليهم السلام ولا إمام بعده ، وأنّ شخصيته مجمع الفضائل والكمالات، والحائزة على أسمى المراتب والمقامات ، وله القدرة على النطق والتخاطب بجميع اللغات ، وهو أفصح الناس لساناً ، وأكملهم جسداً ، وهو المعصوم الذي لا يخطئ ، والعالم الذي لا يجهل .

فلو أنَّ أتباع مدّعي المهدوية أحاطوا بهذه الصفات الشريفة وغيرها ، لما التبس عليهم أمرُ بعض مَن ادّعى المهدوية والقائمية ، على الرغم من كونه من أكثر الناس تناقضاً وغلطاً ، وأسوئهم لغة ونطقاً ، وأضعفهم حجّة وبرهاناً .

ومن هنا وردَ في معتبرة زرارة ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : (اعرف إمامك ، فإنَّك إذا عرفته لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر)[1] .

المستوى الثاني : الجهلُ بآليات ثبوت المنصب الإلهي .

وأهمّها آليتان : آلية النص وآلية الإعجاز ، فلا تثبت الإمامة لإمام ، ولا السفارة لسفير إلا بهما ، وحياة الأئمة عليهم السلام والسفراء

(١) كتاب الغيبة : ١ / ٣٤٨ .

(عليهم الرضوان) طافحة بذلك ، وعلى ذلك القياس ، فلا تُسمع دعوى مدّعي الإمامة أو السفارة إلا مع التنصيص عليه وتمكنّه من الإتيان بالمعجز ، وهذا ما أصاب أكثر المدّعين بمقتل ، ولذا حاولوا التملّص منه بطرقٍ واضحة الالتواء .

واعطف على الآليتين المذكورتين آلية العلم الإلهي الغيبي ، فإنه لا يؤتاه إلا الحجّة ؛ ولذا أرشد أهل البيت عليهم السلام للمقارعة به ، فعن المفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (لصاحب هذا الامر غيبتان : إحداهما يرجع منها إلى أهله، والأخرى يقال : هلك، في أيِّ واد سلك ، قلت : كيف نصنع إذا كان كذلك ؟ قال : إذا ادعاها مدع فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله)[1] .

وهذه الآلية هي التي اعتمدها الوفد القمّي في حواره مع جعفر - المعروف بالكذّاب - في دعواه الإمامة بعد الإمام العسكري عليه السلام ، فقد ورد في الخبر عن أبي الأديان ، قال : (فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم ، فسألوا عن الحسن بن علي عليهما السلام فعرفوا موته ، فقالوا : فمن نعزّي ؟ فأشار الناس إلى جعفر بن علي ، فسلموا عليه وعزوه وهنوه وقالوا : إنَّ معنا كتباً ومالاً ، فتقول ممن الكتب ، وكم المال ، فقام ينفض أثوابه ويقول : تريدون منا أن نعلم الغيب)[2] .

المستوى الثالث : الجهل بعلامات الظهور المهدوي المقدّس .

ورغم أنَّ الأئمة من آل محمد عليهم السلام قد حثُّوا على معرفة العلامات وتعلمها ، حتى قال الإمام الصادق عليه السلام : (اعرف العلامة ، فإذا عرفته لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر)[3] ، إلا أنَّ هنالك من الشيعة من يتهاون في هذا الأمر تهاوناً شديداً ، ونتيجة لهذا التهاون تنزلق أقدامهم ، وتختلط الأوراق عليهم ، وإلا كيف صحَّ لأحدهم أن يصدّق

(١) الكافي : ١ / ٣٤٠ .
(٢) كمال الدين وتمام النعمة : ٥٠٦ .
(٣) كتاب الغيبة : ١ / ٣٥٠ .

بظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف رغم عدم تحقق شيء من علامات ظهوره المقدّس؟!

المستوى الرابع : الجهل بالأحكام الشرعية الفرعية .

وهذا من الكوارث الضارّة بدين الإنسان ضرراً بليغاً ، فإنَّ جهله بأحكام الشريعة المقدسة غالباً ما ينتهي به إلى ما لا تحمد عقباه، وربما اعتمد على ما لا حجيّة له بتوهم حجيته ، ومن هذا الباب ما وقع للكثيرين من أتباع مدّعي المهدوية من الاعتماد على الرؤى والاستخارة في تعيين الحجة ، رغم عدم حجيّة كلا الطريقين، وعدم مشروعية الاعتماد عليهما .

ومن هنا نفهم معنى قول الإمام الكاظم عليه السلام : (تفقَّهوا في دين الله ، فإنَّ الفقه مفتاح البصيرة ، وتمام العبادة ، والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا) ، فإنَّ المستفاد من هذه الرواية الشريفة أنَّ التفقه هو مفتاح البصيرة ، فمن لا فقه له لا بصيرة له ، ومن لا بصيرة له زلّت قدمه في متاهات الطريق .

المستوى الخامس : الجهل بمعارف أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم .

وهذا للأسف الشديد من مآسي أتباع أدعياء المهدوية ، فربما كان بعضهم من ذوي الشأن في بعض الحقول العلمية الأكاديمية ، ولكنّ أيديهم خالية الوفاض من معارف أهل البيت عليهم السلام ، ونتيجة ذلك ربما انطلت عليهم بعض الروايات الملتبسة ، فبنوا عليها عقيدة محورية ، رغم أنها ضعيفة السند والدلالة - كرواية الوصيّة

التي تشبث بها الكواطع - بل ربما شيّدوا دينهم على رواية لا طريق لها إلا ما وثقته كتب المعاندين من الواقفية ، نظير اعتماد هؤلاء على خبر صفوان بن يحيى لإثبات حجيّة الاستخارة في

تعيين الحجّة والإمام ، رغم أنَّ هذه الرواية لم ترد إلا في كتاب (في نصرة الواقفية) ، وقد نقلها عنه الشيخ الطوسي قدس سره في كتاب (الغيبة) ناقداً ومزيّفاً لها ، بل انتهى الأمر بهؤلاء القوم - للأسف الشديد - للاعتماد على منقولات عن (كعب الأحبار) رأس واضعي الإسرائيليات ، تشييداً منهم لمعتقداتهم الزائفة .

وفي المقابل تجاهلوا ما ورد من الأخبار الشريفة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وأعرضوا عنها ، كالتوقيع الشريف الصادر للسفير الرابع (رضوان الله عليه) ، بل بذلوا قصارى جهدهم من أجل تضعيفه وتوهينه ؛ لأنه يشكل عقبة كأداء في طريقهم ، رغمَ أنَّ سيرة الطائفة (أعزّها الله) جارية على العمل به ، منذ بداية الغيبة الكبرى حتى يوم الناس هذا .

المستوى السادس : الجهل بموقعية العقيدة المهدوية في المنظور السياسي .

من المهمات جداً للمؤمن البصير أن يتعرف على مراكز القوّة في المذهب الشيعي، ويلتفت إلى أنها محطّة رصد القوى الكبرى ، فيبقى مراقباً للمؤامرات التي تحاك حولها بهدف توهينها والقضاء عليها، فإنَّ (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)[1] كما وردَ عن إمامنا الصادق عليه السلام .

ولا شك في أنَّ أقوى مراكز القوّة في المذهب الشيعي هو الاعتقاد بوجود الإمام المهدي (أرواحنا فداه) ، نظراً لما يكسبه هذا الاعتقاد للشيعة من العنفوان والحيوية وقوّة الأمل والإصرار على المضي قدماً في هذا الطريق مهما كان حجم التضحيات ، وبالتالي فمن الطبيعي جدّاً أن يُوضع هذا الاعتقاد ضمن الدائرة التي تُسلّط عليها الأضواء من الشرق والغرب ، ولا بدْعَ أن تؤسس مراكز بحثية من أجل التخفيف من وهجها والتقليل من فاعليتها وتحجيم تأثيرها على أقل تقدير ،

(١) الكافي : ١ / ٢٧ .

وتأتي في هذا السياق كثرةُ دعاوى المهدوية في هذا العصر، وتعدد أساليب أدعيائها، فإنَّ أكثرها - إن لم نقل كلها - تقف وراءها أيدي خارجية لا همَّ لها إلا تفريغ هذه القضية من محتواها، ولو بتوهينها لدى الشيعة من خلال إيهامهم بأنَّ هذه القضية لا واقعية لها، وأنها لا تتجاوز دائرة الدعاوى الزائفة.

المستوى السابع: الجهل بأساليب المدّعين وأدوات تأثيرهم.

فإنَّ من الأساليب المؤثرة جداً في نفوس الكثير من الناس هو إبراز بعض الأمور الغريبة لهم، كإخبارهم ببعض المغيّبات، أو التأثير في نفوسهم ببعض أنحاء التأثيرات، أو إظهار بعض الأمور الخارقة للعادة، باعتبار أنَّ إبراز ذلك لهم ممّا يبعث في نفوسهم الاطمئنان بصدق المدّعي وكونه من أهل الحق، وليس الأمر كذلك؛

إذ أنَّ بعض شياطين الإنس يتمكنون - بمعونة شياطين الجن، أو السحر والشعوذة ونحوهما - أن يقوموا بإبراز ذلك، ولا يستطيع أن يكتشف زيفهم وبطلان دعاواهم إلا المؤمن البصير، الذي تزوّد بسلاح المعرفة الوحيانية والوعي الإيماني.

ومن المفيد هنا أيضاً أن يطلّع الإنسان على تاريخ بعض الفرق المنحرفة - كالبهائية والقاديانية - ويقرأ عن بعض المنظمات السرّية العالمية - كالماسونية - فإنَّ ذلك مما يزيده وعياً وبصيرة بأساليب المنحرفين وأدعياء الضلال.

والمتحصّل: فإنَّ الجهل بأيّ مستوى من مستوياته قد يكون سبباً للإيقاع بصاحبه في هاوية الضلال والانحراف، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام حين قال في كلامه المتقدّم: (لم يستضيئوا بنور العلم).

السبب الثاني : عدم اللجوء إلى ركن وثيق .

وأما السبب الثاني فهو عدم اللجوء إلى ركن وثيق ، والمُرادِ من (الركن الوثيق) هو الأساس القوي المحكم في العلم والدين معاً ، وهو مَن عبّرَ عنه أمير المؤمنين عليه السلام في نفس التقسيم الثلاثي المتقدم بـ (العالم الربّاني) ، وقد أحال الأئمة الأطهار عليهم السلام - سيما المتأخرين منهم - شيعتهم في زمن الغيبة الكبرى على العلماء الربّانيّين .

فعن الإمام الهادي عليه السلام قال : (لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا عليه السلام من العلماء الداعين إليه ، والدّالين عليه ، والذّابين عن دينه بحجج الله ، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب ، لما بقي أحد إلا ارتدَّ عن دين الله ، ولكنّهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة ، كما يمسك صاحب السفينة سكانها ، أولئك هم الأفضلون عند الله عزَّ وجلَّ)[1].

وعن الإمام العسكري عليه السلام قال : (فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً على هواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوامّ أن يقلدوه)[2] .

وعن إمام العصر والزمان (أرواحنا فداه) قال : (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله)[3] .

فالشيعي غير المتفقّه إذا كانت له صلة بأحد العلماء الربانيّين، وكان يرجع إليه في شؤونه الدينية لم تلتبس عليه الفتن ، ولم تدهمه الشبهات ، وكان له العَالِم هو طوق النجاة في أمواج الفتن المتلاطمة ، والعكس بالعكس .

---

(١) بحار الأنوار : ٢ / ٦ .
(٢) وسائل الشيعة : ٢٧ / ١٣١ .
(٣) الاحتجاج : ٢ / ٢٨٣ .

ب / وأما الجواب عن الشقّ الثاني : فإنَّ عملية تحصين النفس تبتني على أربع خطوات مهمة :

الخطوة الأولى : اتضح من خلال الشقّ السابق أنَّ سبب التأثر بالدعاوى الزائفة يرجع إما إلى عدم الاستضاءة بنور العلم ، وإما إلى عدم اللجوء إلى ركن وثيق ، وبما أنَّ العلاج الأساس لأيِّ مشكلة يكون بعلاج أسبابها ، فهذا يعني أنَّ الخطوة الأولى في سبيل التحصين هي التفقه في الدين والاستضاءة بنور العلم ، واللجوء إلى ركنٍ وثيق بمجالسة العلماء الربّانيّين والرجوع إليهم .
وقد مرَّ علينا قول الإمام الصادق عليه السلام : (اعرف العلامة ، فإذا عرفته لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر) .

الخطوة الثانية : التنبّه إلى أنَّ مرحلة التمحيص الفكري هي أخطر المراحل التي تمرُّ بها المجتمعات المؤمنة ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (الحادي عشر من ولدي هو المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، تكون له غيبة وحيرة ، يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون)[1] ، بل سيأتي في بعض الروايات الشريفة أنَّ هذه المرحلة لا ينجو منها إلا مَن أخذ الله ميثاقه ، وهذا ما يتطلب من المؤمن أن يكون على مستوى عالٍ من الفطنة والبصيرة النافذة .

الخطوة الثالثة : اليقظة التامة والحذر الشديد من رايات الضلال وأدعياء المهدوية ، فقد حذَّرَ منها الأئمة الهداة عليهم السلام ونبّهوا عليها ، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة .

منها : ما ورد عن عبد الله ابن يحيى الحضرمي ، قال : سمعت علياً عليه السلام يقول: كنّا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وهو نائم ورأسه في حجري ، فتذاكرنا الدجال فاستيقظ النبي صلى الله عليه وآله محمراً وجهه ، فقال:

(١) الكافي : ١ / ٣٣٨ .

(لَغيرُ الدجَّال أخوف عليكم من الدجَّال الأئمة المضلون)[1] .

وصحيحة أبي خديجة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : (لا يخرج القائم حتى يخرج اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو إلى نفسه)[2].

وعن المفضل بن عمر الجعفي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : (أما والله ليغيبن إمامكم سنيناً من دهركم ، ولتمحصنَّ حتى يقال مات أو هلك بأي واد سلك ، ولتدمعنَّ عليه عيون المؤمنين ، ولتكفأنَّ كما تكفأ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه ، وكتب في قلبه الإيمان ، وأيده بروح منه ، ولترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة ، لا يدرى أيٌّ من أي)[3] .

الخطوة الرابعة : إناطة قبول الدعوى بتحقق العلامات الحتمية، والتي تتحقق في وقت متقارب جداً ، نظير الصيحة السماوية ، فإنَّ الوظيفة المطلوبة من المؤمن - في ظلّ اختلاط الأوراق والتباس الفتن - ليست هي المبادرة إلى تصديق المدّعين ، وإنما هي التريّث والانتظار حتى تتحقق العلامات المحتومات ، وتشهد بذلك عدّة من الروايات :

ومنها : معتبرة جابر بن يزيد الجعفي ، قال : قال أبو جعفرٍ محمدٍ بن علي الباقر عليه السلام : (يا جابر ، الزم الأرض ، ولا تحرِّك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها)[4] .

وصحيحة عن عمر بن حنظلة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (خمس علامات قبل قيام القائم : الصيحة والسفياني

(١) الأمالي للطوسي : ٥١٢ .
(٢) الغيبة : ١ / ٤٥٧ .
(٣) بحار الأنوار : ٥٢ / ٢٨١ .
(٤) الغيبة : ٢٨٩ .

والخسف وقتل النفس الزكية واليماني، فقلت: جعلتُ فداك إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات أنخرج معه؟ قال: لا)[1].

وخبر سدير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (يا سدير، الزم بيتك، وكن حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أنَّ السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك)[2].

وجاء في التوقيع الشريف المروي عن إمامنا المهدي (أرواحنا فداه) ما يؤكد على ضرورة التكذيب ما لم تتحقق العلامات المحتومة، وليس على مجرد التريث فحسب، حيث قال: (وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[3].

س ٩: ادِّعاء المهدوية أو الاتِّصال المباشر بالإمام عليه السلام يعتبر دليلاً على الخروج من المذهب الحق، فما هي الأهداف والأغراض التي تجعل البعض يدّعي مثل هذه الدَّعاوى الخطيرة، رغم علمهم بأثر ذلك على سمعتهم وتعامل النَّاس معهم؟

ج ٩ / ابتداءً لا بدَّ من الالتفات إلى أنَّ مدّعي المهدوية ربما كانوا مجرّد منفذّين لمشاريع قوى كبرى، وربما كانوا رؤوساً ومؤسسين، والدوافع والأهداف تختلف باختلاف الصنفين وربما اشتركت بينهما، وسوف نشير في المقام إلى أهمها:

أ - الدافع الأوّل: إضعاف العقيدة المهدوية في نفوس الشيعة، وهذا الدافع هو دافع القوى الكبرى التي تقف خلف الكثير من مدّعي المهدوية، كما تحدثنا عن ذلك سابقاً، فإننا - بحسب ما تتبعناه - وجدنا أنَّ كثيراً من الأدعياء ما هم إلا مجرّد آلات موظفة لأداء

(١) الكافي: ٨ / ٣١٠.
(٢) الكافي: ٨ / ٢٦٥.
(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٥.

دور ادّعاء المهدوية ، ولا هدف من وراء توظيفهم سوى التلبيس على هذه العقيدة وتمييعها عن طريق إبراز كثرة الأدعياء ، والذين قد يتفق اجتماعهم في وقتٍ واحد في مناطق متعددة .

ب - الدافع الثاني : هو الدافع النفسي ، فإنَّ كثيراً من مدّعي المهدوية - ونحوها من المناصب الإلهية الجليلة - كانوا يعانون من اضطرابات ومشاكل نفسية ؛ إذ تسيطر عليهم عقدة النقص ، ويرون أنفسهم عاجزين عن تحقيق رغبات نفسية معينة ، فيلجؤون إلى الجانب المقدّس في حياة الناس ، ويدّعون منصباً من المناصب الإلهية، لجذب الناس إليهم .

ج - الدافع الثالث : الطمع والجشع والرغبة في الثراء والحياة الفارهة ، فإنه يبعث أيضاً على ادّعاء المهدوية ، طمعاً في الحصول على الزكوات والأخماس والصدقات ، التي يُفترض أن تعود للإمام عليه السلام لكونه هو المسؤول عنها .

د - الدافع الرابع : حبُّ الزعامة والكرسي ، وهذه آفة من الآفات المتجذرة في حياة الكثير من مدّعي المناصب الإلهية ، فإنهم يحبون السيطرة على الآخرين ، ويتلذذون بخضوع الناس لأوامرهم ونواهيهم، ولذا يلجأون لادّعاء المنصب الإلهي تحقيقاً لهذه الرغبة الجامحة في نفوسهم ، ولذا يزعجهم ميل الناس إلى غيرهم، كالمراجع والعلماء ، وهذا ما يدفعهم لمحاربتهم وتسقيطهم ، بهدف عزل الناس عنهم، وتفردهم بالزعامة والرئاسة .

هـ - الدافع الخامس : حبُّ الشهرة وذيوع الصيت ، وهذا الحبُّ المقيت قد ينتهي بصاحبه حتى لتبني الأفكار الضالة والمنحرفة ، من أجل لفت الأنظار والبقاء في دائرة الضوء ، وقد قرأت ذات مرة لأحد الأطبّاء النفسيين كلاماً حول ظاهرة ادّعاء النبوة ، ذكرَ فيه: إنَّ من يدعي النبوة - أو يزعم أنه بإمكانه عمل شيء خارق للعادة - قد يكون لديه اضطراب في الشخصية ، ويريد تحقيق شهرة عارمة

في وقت قصير، وما نحن فيه كذلك أيضاً .

س ١٠ : سيِّدنا العزيز.. ما هي أهمُّ المصادر التي يمكن الرُّجوع إليها في مسألة دعاوى المهدوية أو الاتِّصال بالإمام عليه السلام، بحيث تعطي اطلاعاً واسعاً على هذه المسألة؟

ج ١٠ / لستُ مطلّعاً على جميع ما كُتب في هذا المجال ، ولكن يمكنني أن أشير إلى بعض العناوين النافعة إن شاء الله تعالى .

١ . دعوى السفارة في الغيبة الكبرى ، لسماحة الشيخ محمد السند .
٢ . رايات الضلال (أحمد إسماعيل كاطع أُنموذجاً) ، للشيخ أبو خالد الجابري السماوي .
٣ . الردّ القاصم لدعوة المفتري على الإمام القائم عليه السلام، لسماحة الشيخ علي المحسن .
٤ . أدعياء المهدوية ، للسيد عدنان هاشم الحسيني .
٥ . الفتنة في عصر الغيبة ، للسيد طلال الحكيم .
٦ . الحيرة في عصر الغيبة الكبرى ، لسماحة السيد ياسين الموسوي.
٧ . الحركات المهدوية (تاريخها - عقائدها - خطرها) ، لذو الفقار علي ذو الفقار .
٨ . أدعياء المهدوية - ملحق الرصد ٣ - لأحمد فرج الله .
٩ . مدّعو المهدوية والسفارة ، للدكتور كنعان جليل إبراهيم .
١٠ . وربما صلح أن يُضاف إليها كتاب(المهدوية الخاتمة) لهذا العبد الجاني (عُفيَ عنه) .

فتلك عشرة كاملة .

س١١ : ما هي أهمُّ الوظائف الشَّرعية الملقاة على عاتق المؤمنين فيما يرتبط بالقضية المهدوية؟

ج ١١ / الوظائف الشرعية كثيرة ومتعددة ، ولكننا سنقتصر على بيان خمس وظائف منها :

أ . الوظيفة الأولى : التعاهد الدائم للقضية المهدوية .

وهذه وظيفة شخصية ينبغي أن تكون مورد اهتمام جميع المؤمنين المنتمين للإمام عليه السلام بشكل مستمر ، لتكون القضية حاضرة في أذهانهم ونابضة في قلوبهم على الدوام ، وهذا ما يُستفاد من تأكيدٍ تعاليم أهل البيت عليهم السلام على تجديد البيعة للإمام المهدي عليه السلام في كل يوم ، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام دعائه المعروف بدعاء العهد : (اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي، لا أحول عنها ولا أزول أبداً) .

بل ورد عنهم عليهم السلام ما يدلُّ على محبوبية ذكره (أرواحنا فداه) في دبر كل صلاة مكتوبة ، فعن محمد بن الفرج أنه قال : كتب إليَّ أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليهما السلام : إذا انصرفت من صلاة مكتوبة فقل : (رضيت بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن كتاباً ، وبالكعبة قبلة، وبمحمد نبياً ، وبعلي ولياً ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، والحجة بن الحسن بن علي عليهم السلام أئمة .

اللهم وليك الحجة ، فاحفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته ، وامدد له في عمره ، واجعله القائم بأمرك ، المنتصر لدينك ، وأره ما يحب وتقر به عينه في نفسه، وفي ذريته وأهله وماله ، وفي شيعته، وفي عدوه ، وأرهم منه ما يحذرون ، وأره فيهم ما تحب وتقر به عينه، واشف به صدورنا

وصدور قوم مؤمنين)[1] .

ب . الوظيفة الثانية : إيصال العقيدة المهدوية للأجيال اللاحقة.

فإنَّ العقيدة المهدوية أمانةٌ قد وصلت إلينا عن طريق أجدادنا وآبائنا ، بعد أن تكبدوا في سبيل إيصالها أشدّ أنواع الظلم وأقسى ألوان المحن ، فوجب علينا أن نتحمل كما تحملوا ونقاسي كما قاسوا، ونوصل الأمانة لأولادنا كما وصلت إلينا ، وهذا هو أحد المصاديق التامة لقوله تبارك وتعالى : { الذين آمنوا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر } .

ج . الوظيفة الثالثة : المحافظة على مركزية العقيدة المهدوية ومحوريتها .

فإنها - كما ذكرنا في بعض الأجوبة السابقة - تُصنف ضمن القضايا المحورية عند الشيعة الإمامية، إن لم تكن هي أهم قضاياهم العقائدية ، وهي سرُّ قوتهم وصلابتهم وإصرارهم وعزتهم وعنفوانهم وحيويتهم وصمودهم ، وهذا ما يقلق القوى الكبرى ويقضُّ مضجعها ، وهو ما تسعى لتجفيفه والإخلال بفاعليته ، عبر إثارة الشكوك والشبهات ، ودعم أدعياء المهدوية دعماً لوجستياً وماليا وإعلامياً، وهذا ما يضاعف مسؤوليتنا تجاه هذه القضية ، ويحفّزنا للدفاع عن مركزيتها مهما كلّف الأمر ؛ إذ أنَّ أيَّ خلل يطال هذه المركزيّة فإنه سينعكس على التشيّع ككل.

د . الوظيفة الرابعة : الاهتمام الإعلامي بها .

فإنَّ أهميتها الفائقة وموقعيتها المهمة تقتضي تكثيف الضخّ الإعلامي ، من أجل بلورة صورتها الحقيقية للرأي العالمي،

(١) من لا يحضره الفقيه : ١ / ٣٢٧ .

وتحريكها في الوجدان الإسلامي العام، وترسيخها في نفوس الأجيال الصاعدة ، فيجدر استثمار وسائل الإعلام المتاحة - كوسائل التواصل الاجتماعي ، والأفلام القصيرة - وبحسب الإمكانيّات المتوفرة ، مع الاستفادة من اللغات العالمية ، في سبيل تحقيق الهدف المذكور .

هـ . الوظيفة الخامسة : الاهتمام البحثي المتناسب مع حجم القضية وموقعيتها الدينية .

فإنَّ القضيّة المهدوية - بحسب نظري القاصر - لا تزال بكراً ، ولا زالت الكثير من أبحاثها عذراء لم تُمسّ ، وهذا ما يستدعي أن تؤسس مراكز بحثية كبيرة لإثراء ملفات هذه القضيّة ، وجعلها - في عصر التخصّصات - محوراً للأبحاث العلمية والدراسات الدينيّة .

س ١٢ : كيف نضمن أن نكون من أنصار الإمام عليه السلام حال ظهوره، حيث نعلم بارتداد الكثير عنه زمن الغيبة وزمن الظّهور كما في مضمون بعض الرِّوايات؟

ج ١٢ / للأسف الشديد لا نستطيع أن نمتلك ضماناً بالنجاة من فتن آخر الزمان ، والتوفيق لنصرة الناحية المقدّسة ، ولكن هنالك عدّة خطوات تقارب من تحقيق الأمرين ، وبما أننا قد تحدثنا عن الخطوات التي تساهم في تحقيق الأمر الأوّل ضمن إجابة الشقّ الثاني من السؤال الثامن ؛ لذا سوف نقتصرها هنا على بيان الخطوات التي تساهم في تحقيق الأمر الثاني ، وهي ثلاث خطوات :

١ . **الخطوة الأولى :** التهيؤ والاستعداد النفسي ، بداهةَ أنَّ الوصول إلى هدف معيّن لا يمكن أن يتحقق إلا بالتهيؤ والاستعداد كخطوة أولى من خطوات الطريق ، والمتتبعُ للنصوص الشريفة لا يعدم الحصول على تنبيهات وإشارات لهذه الخطوة ، ومن ذلك قول الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة : (ونصرتي لكم معدة ، حتى

يحيي الله دينه بكم ، ويردكم في أيامه ، ويظهركم لعدله ، ويمكنكم في أرضه ، فمعكم معكم لا مع عدوكم)[1] .

وقول الإمام زين العابدين عليه السلام في أحد أدعيته الشريفة : (اللهمّ املأ الأرض به عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وامنن به على فقراء المسلمين وأراملهم ومساكينهم ، واجعلني من خيار مواليه وشيعته ، أشدّهم له حبّاً وأطوعهم له طوعاً ، وأنفذهم لأمره ، وأسرعهم إلى مرضاته ، وأقبلهم لقوله ، وأقومهم بأمره ، وارزقني الشهادة بين يديه حتّى ألقاك وأنت عنّي راض)[2] .

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله :(ليُعدنّ أحدكم لخروج القائم ولو سهماً ، فإنَّ الله تعالى إذا علم ذلك من نيّته رجوت لأن يُنسئ في عمره حتّى يدركه ، فيكون من أعوانه وأنصاره)[3] .

والمستفاد من هذه النصوص الشريفة وأمثالها : أنَّ المؤمن ينبغي له أن يوطن نفسه على نصرة الإمام عليه السلام والشهادة بين يديه ، ويعد نفسه لذلك ، ويجعله همّاً من همومه وأملاً من آماله التي يسعى جاهداً لتحقيقها .

٢ . الخطوة الثانية : الاستعانة بالغيب والاستمداد منه ، فإنَّ الحول حول الله ، والقوّة قوته ، والتوفيق توفيقه ، ولا حول ولا قوة ولا توفيق للعبد إلا به تعالى ، وقد أشارت النصوص الشريفة إلى أهميّة هذه الخطوة في تحقيق كلا الأمرين ، فعن الإمام الصادق عليه السلام: (سَتُصِيبُكُمْ شُبْهَةٌ فَتَبْقَوْنَ بِلا عَلَمٍ يُرَى وَ لا إِمَامِ هُدًى ، وَ لا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا مَنْ دَعَا بِدُعَاءِ الْغَرِيقِ . قُلْتُ: كَيْفَ دُعَاءُ الْغَرِيقِ؟ قَالَ : يَقُولُ : يَا اللَّهُ يَا رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ ، يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)[4] .

(١) من لا يحضره الفقيه : ٢ / ٦١٤ .
(٢) بحار الأنوار : ٩٥ / ٢٣٤ .
(٣) كتاب الغيبة : ٣٣٥ .
(٤) كمال الدين وتمام النعمة : ٣٥٢ .

وعنه عليه السلام : (يا زرارة ، وهو المنتظر ، وهو الذي يشك في ولادته ، فمنهم من يقول: مات أبوه بلا خلف ، ومنهم من يقول : حمل ، ومنهم من يقول : غائب ، ومنهم من يقول : ولد قبل وفاة أبيه بسنين ، وهو المنتظر ، غيرَ أنَّ الله يحب أن يمتحن قلوب الشيعة ، فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زرارة .

قال زرارة : قلتُ : جعلتُ فداك ، إن أدركتُ ذلك الزمان أي شيء أعمل ؟ قال : يا زرارة ، متى أدركت ذلك الزمان فلتدعُ بهذا الدعاء: اللهم عرفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك ، فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك ، فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني)[1] .

واستفاضت النصوص الشريفة بتربية الشيعة على أدب الدعاء ، وطلب التشرّف بنصرة الإمام المهدي عليه السلام من الله تبارك وتعالى ، إذ أنَّ مثل هذا الشرف العظيم يتطلب توفيقاً من الله، وتسديداً منه ، وهذا ما لا يتحقق إلا بدعائه والاستمداد

منه ، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال : (مَن دعا إلى الله أربعين صباحاً بهذا العهد - أي: دعاء العهد - كان من أنصار قائمنا ، وإن مات أخرجه الله إليه من قبره ، وأعطاه الله بكل كلمة ألف حسنة ، ومحا عنه ألف سيئة)[2] .

٣ . الخطوة الثالثة : الإعداد العملي ، فعن الإمام الصادق عليه السلام: (مَن سرَّهُ أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه ، فجدوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة)[3] .

---

(١) الكافي : ١ / ٣٣٧ .
(٢) بحار الأنوار : ٩١ / ٤٢ .
(٣) كتاب الغيبة : ١ / ٢٠٥ .

وهنا نكتة يجدر الالتفات إليها ، وهي ضرورة التناسب السنخي بين عمل الناصر ومشروع المنصور ؛ إذ أنَّ الإمام (أرواحنا له الفداء) إنما يطلب الناصر في مشروعه الإلهي الأكبر ، وهو بسط القسط والعدل ، وسحق الفساد والظلم ، ومن الواضح أنَّ الناصر في تحقيق هذا المشروع لا بدَّ أن يكون جزء المشروع ، أي : متصفاً بالقسط والعدل ، ومنزهاً عن الفساد والظلم ، وإلا كان عائقاً عن تحققه ، لا ناصراً ومعيناً في تحقيقه ، وهذا ما يقتضي الإعداد العملي بالتحلّي بالفضائل والتنزّه عن الرذائل ، وهو ما أشارت إليه الرواية الشريفة ، فإنَّ (العمل بالورع) إشارة إلى التخلّي عن الرذائل ، بينما (محاسن الأخلاق) إشارة إلى التحلّي بالفضائل .

وبهذه الخطوات الثلاث نرجو أن نفوز بشرف نصرته ، والنظر إلى جمال غرته (أرواحنا له الفداء) .

•نشكركم سماحة السيد مجدداً على إتاحة هذه الفرصة، وقبول الدعوة، ونسأل اللّٰه تعالى لنا ولكم دوام الموفقية والسداد، والحمد للّٰه رب العالمين، وصلّى اللّٰه على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

•ولكم كذلك خالص الشكر والتقدير ؛ إذ كنتم سبباً لتشريفي بالكلام عن إمام العصر ووليّ النعمة (عليه وعلى آبائه التحية والسلام) ، وأسأل اللّٰه تعالى أن يجعلني وإياكم من المرضيّين عنده والمشمولين لبركات دعائه ، والفائزين بنصرته والمنعمين في دولته ، والسلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته .

تابعونا على وسائل التواصل التالية:

العددان الحادي والثاني والسبعون - السنة الثامنة عشرة / رجب وشوال ١٤٤٣ هـ - فبراير ومايو ٢٠٢٢م

رسالة القلم

إسلامية . ثقافية . شاملة

القضيّة المهدويّة

حوار العدد

وقفات مع القضيّة المهدويّة

حوار مع سماحة السيّد ضياء الخبّاز

- إمكان رؤية الإمام عجل الله فرجه في عصر الغيبة
- التحوّل الفكريّ عند أصحاب البدع.. السفارة والتجديد مثالاً
- فكرة المهدويّة ودور المؤمن في زمن الغيبة
- علامات الظهور المهدويّ.. المعنى، والمنهج، والآثار
- علاقة الإصلاح المهدويّ بالثورة الحسينيّة

٧١-٧٢

رسالة القلم

محور العدد: القضيّة المهدويّة

٧١
٧٢